أُحببتُ قاتلاً

لا تُدنسوا طُهر قلوبكم بعلاقات غير حلال

جهاد علاء الدين محمد

داركتاب للنشروالتوزيع



مسئول النشر

طارق رمضان

مدير التوزيع

عمر عبد السميع

مدير العلاقات

مها عادل

الطبعة الأولى

الكتاب : أحببتُ قاتلاً

تأليف : جهاد علاء الدين محمد

تصنيف الكتاب : رواية

مصمم الغلاف : عبد الرحمن سندوبى

إخراج : أحمد عبد الرحمن

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ؟؟؟؟ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : 9 - 29 - 6597 - 977 - 978

العنوان : ٤٧ تقاطع الفلكي مع محمد محمود - القاهرة - مصر

التليفون : ٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨

Email : darkitabone@gmail.com

إهداء

إلى من أُحب أبي وأمي وأخوتي وصديقاتي

اللاتي طالما ساندوني كثيرًا...كل الحب لكم

رضي الله عنكم جميعًا وأسعدكم

جهاد علاء الدين

لم تكن سوى وجع كما أسميتك مؤخرًا «وجع قلبي»..

توجعني بكل ما لديك من قوة.. قاتل أنت وإن كنت لا تعلم..

قتلتني بدم بارد.. بسكين غير مسنون.. ظللت تحركه ببطءٍ شديد..

لم تكن يوماً كما أسميتك من قبل « وتيني» ... لم تكن يوماً وتين لي...

لقد كرهتك حد الموت ...

الموت الذي أذقتني إياه بأعظم الطرق...

لم تكن سوى قاتل قتل فرحتي و براءتي و طيب قلبي...

وتركتني غارقة وسط دمائي... أنزف بشدة ..

أكاد أشعر بأن روحي متألمة.. تخرج بصعوبة ..

جزء منها باقٍ والآخر يخرج بعنف شديد سائم السكنْ بداخلي..

لم تكن سوى قاتل ...

قاتل فقط..

جهاد علاء الدين محمد

اليوم هو الثاني من شهر فبراير..

أظنـك تتذكـر هـذا اليـوم جيـداً حتـى وإن لم نعـد نحتفـل بـه كـما أعتدنـا مـن قبـل

إنه اليوم الأول الذي تحدثنا فيه معاً

سألتني يوماً ما هو الحب؟ ..

أتذكـر أننـي صمـتُ طويـلاً وتـوارد الكثـير مـن الأفـكار بداخـل عقـلي..

تعرف جيدًا أني تعلمت الحب على يدك..

ها أنا اليوم أمسك مذكراتي وأتذكر سؤالك هذا...

لقـد كتبـت الكثـير والكثـير.. كتبـت عـن الحـب أنـه الطمأنينـة.. الاحتـواء.. الإخـلاص والحنـان.. هـو حـب الشـخص لذاتـه كونه هكـذا بتفاصيلـه عيوباً كانـت أو مميزات ..

هـو إلتقـاء الأرواح.. الأرواح التـي لا تعـرف سـوى الرحمـة والحنـو..

الأرواح التـي تجهـل المادية الشـديدة التـي نعيشـها.. الـروح التـي تسـمو عـن كل كـذب وخـداع ..

كنت أنمو بذلك الحب الذي تسقيني إياه..

أفـرح بنظـرات ذلـك العاشـق الوهـان.... لطالما أحببـت ابتسـامتك تلـك التـي لا يضاهيهـا أي شيء عـلى الاطـلاق..

كنت جميل بما يكفي كي تنير لي عتمتي ..

أتذكر اليوم الذي أرسلت لي برسالة صوتية

تغني لي فيها أغنية «لعبدالحليم حافظ» ..

بهـواك وأتمنـى لـو أنسـاك وأنسـى روحـي ويـاك وإن ضاعـت يبقـي فـداك لـو تنسـاني..

كـم كان صوتـك جميـلاً حينهـا.. أحببـت هـذه الأغنيـة كثـيرًا.. اسـتمررت في وضـع السـماعات في أذني طيلـة اليـوم وأنـا أسـمعها ..

كنـت أُسـمعها لصديقاتي و أنـا أرقص فرحاً لأنـك تُغني لي ..

سمعتها وأنا على فراشي حتى غفوت ...

***

لا قـدرة لي عـلى اعتيـاد الفقـد.. يجـول الحـزن بداخـلي كـي ينـشر سـواده...

يفقـدني وعيـي.. يجعلنـي أمـشي أتأرجـح ممشـطة الطرقـات بحثـاً عـن موطنـاً فـلا أجـد .. وكأن حمـماً مـن الجمـر تسـتعمر

أحشائي وأسياخ من حديد ساخن تُغرس في قلبي..

ندبات وندبات وتتبعها فجوات مؤلمة..

يبقيني دائماً خائفة .. أتوارى كعورة تحت لحافي .. أخشى مواجهة العالم وحدي .. تتحرك الأشياء من حولي وتتعالى الأصوات ولا قدرة لي على تمييز أي شيء أسمعه.. كلها أصوات تتراكم بداخل مسمعي .. ترهقني.. وتؤذيني..

أتألم لسماعها.. كلها متشابهة رتيبة لا أميزها.. وكأن العالم يأبى وجودي.. يسري الحزن ساكباً حبراً أسوداً يسري في عروقي.. يتعالى

من فاهي ليصبح العالم أسوداً .. أشعر وكأني أحترق ولم يبقَ مني سوى رماد... رماد سهل التطاير.. كهشة لم يكن بها روح أبداً..

كل الطرق أمامي مسدودة مُخيفة..

***

لا أعلم كيف لكلمات أن تُنهي ما بيننا بغمضة عين.. أظنني لا اعلم في الحقيقة ما الذي أرتكبته كي يتركني رجل مثلك...

أتظـن بـأني أنانيـة لأني أريـدك إلى جانبـي؟... أتـرى في طلبي هـذا بأنني قاسـية...

لم تكـن كلماتـك الأخـيرة سـوى جمـر وقـد ألقيتـه عليِّـا .. كانـت كلماتـك مؤلمـة يـا سـعود ..

أفتقـد للكثـير مـن الشـعور... أفتقـدك بشـدة.. أصبحـت هشـة للغايـة بدونـك.. أشـعر بجسـدي يفنـى أمامـي.. أوشـك عـلى أن أصـل إلى حافـة الانهيـار.. ذلـك البئـر الـذي لم تكـن لـه نهايـة أبـداً.. إن هـذا الظـلام مـن حـولي يدفعنـي بقـوة إلى الوقـوع فيـه... تـركك إيـاي يبعـث الخـوف بداخـلي طيلـة هـذه الأيـام. الخـوف الـذي يـأكل كل شيء إلا أنـا .. يبقينـي دائـماً عـلى قيـد الحيـاة حتـى يتقـن عـذابي.. كل شيء هنـا رتيـب بدونـك يـا سـعود...

***

أشـعر بـك في غيابـك.. يؤلمنـي قلبـي عندمـا يكـون بـك سـوء .. لا أعـرف إن كنـت تشـعر كيفـما أشـعر أم لا ..شـعرت اليـوم بـألم مفاجـئ في قلبـي..

ألم شـديد أردت ان اتصـل بـك كـي أطمئـن عليـك.. و لكنـي خفـت أن تصـدني.. لم أسـتطع أن أتخلـص مـن هـذا الألم إلا وأنـا أرسـل لـك برسـالة.. كتبـت فيهـا..

أريـد أن أتحـدث معـك عنـك .. لسـت كحبيبـة حتـى لا أضايقـك.. كصديقـة عـلى الأغلـب.. عـن الأشـياء التـي تفعلهـا و تؤلمـك عـن حياتـك إن كانـت تضايقـك.. أريـد أن أجـد لـك حـلاً لمـا أنـت عليـه..

تجاهلتني و كأني لم أُحدثك...

انتظرتـك ولكنـك لم تعـاود الارسـال لي .. أرسـلت لـك في اليـوم التـالي رسـالة أخـرى ..

أعتـذر لـك عـن أي سـوء صـدر منـي.. أعتـذر عـن تأخري في محادثتـك.. كنـت أحتـاج لأن أتخطـى كونـك لم تعـد حبيبـاً لي.. تخطيـت مرحلـة كونـك تؤذينـي... تخطيـت مسـلمات كثيرة لم أكـن قـد اسـتوعبتها بعـد.. ولكنـي أسـتوعبتها الآن.. أعتـذر عـن أي سـوء صـدر منـي بقصـد أو بـدون قصـد.. أتمنـى بـأن تتحـدث معـي.. أننـي بحاجـة لأن أتحـدث معـك.

بعدهـا بسـاعات سـمعت صـوت الرسـالة.. نبـض قلبـي بشـدة حينهـا.. أمسـكت هاتفـي و يـدي ترتعـش ..

***

كنت أحب سماع صوتك كل يوم.. أنت أيضًا تريدني دومًا أن أيقظك على صوتي

الكثير من الأوقات كان يتوجب عليا النوم مبكرًا لما لدي من مواعيد صباحًا ولكني كنت أنتظر كي أوقظك.. أحيانًا كنت تطلب المزيد من الوقت وأنتظرك أنا المزيد..

يصبح صوتك أكثر دفءً عند استيقاظك.. أشعر بالدفء الشديد عند سماعه.. لم يكن يومي يكتمل إلا به...

***

جلست اليوم في إحدى الأماكن الهادئة كي أتذكرك كالعادة وإن كنت لا أنساك.. أبتسم أحياناً وأدمع أحياناً أخرى..

رسمت لك صورة.. أنت تعرف أني لا أجيد الرسم ولكنها تشبهك كثيراً.. هي لم تكن لوجهك فذاك النور يصعب رسمه.. من الجانب كانت عبارة عن جسر.. نعم أنت تشبه هذا الجسر فتلك المنطقة كانت تفرق الأهل و الأحباب حتي تم بناؤك.. أعتلت البسمات وجوههم.. أنت جسر جميل صدقني...

رسمتك بحراً عميقاً.. تمتص غضب من يحبوك، يجلسون على شاطئك باثين شكواهم كي يستريحوا...

أيضـاً تلـك النجمـة البعيـدة كانـت أنـت.. تهـدي مـن يضلـون الطريـق.. تهدينـي أنـا أيضـاً.. كلـما اشـتقت إليـك .. نظـرت إليهـا ... وفي تلـك المنطقـة الجدبـاء رسـمتك مطـراً ينبـت تلـك الـورود الجميلـة.. كالـذي فعلتـه تمامًـا مـع قلبـي .. كنـت أود أن أرسـمك حضنـاً

يحتـوي مـن يحتاجـون إليـه ولكنـي أكتفيـت بكتابـة كلمـة حضـن بخـط صغـير داخـل مصبـاح يشـع نـوراً لأولئـك الذيـن يحتاجونـك إلى جانبهـم ..

***

ذكـرت لي في إحـدى المـرات أن أبـواك لا يريـدوني زوجـة لأبنهـم... لم أعلـم لمَ لم أتجـادل معـك كثـيرًا حينهـا.. ربـما لأنـك تجنبـت مناقشـتهم.. لم تـرد أو تدافـع عنـا و عـن حبنا لم تتسـمك بي ولـو للحظـات أمامهـم.. لطالمـا أحببتهـم .. كنـت أدعـو لهـم في صـلاتي..

منـذ ذكـرك هـذا.. عندمـا أسـمع صديقـاتي يتكلمـن عـن كيـف سـتصير حفـلات زفافهـم... لم أكـن أتحـدث معهـم حينهـا.. لم أعـد أحلـم بالفسـتان الأبيـض كجميـع الفتيـات.. تخليـت عـن حلـم كـوني عـروس بفسـتان أبيـض في حفـل زفـاف جميـل و تتنـاثـر الـورود مـن حولنـا...

لم أتخيل يوماً كيف سأبدو بالفستان..

كنت إذا مررت على إحدى الأماكن التي تعرض تلك الفساتين البيضاء .... أنظر إليها كنظرة الشيء الذي لن أحصل عليه قط..

أبتسم ابتسامة حزينة وأمضي وكأني لم أرَ شيئًا مخافةً أن تراني حزينة فتحزن لحزني...

تخليت عن هذا الحلم فلم أكن أحلم إلا بوجودي بجانبك... ولكني لم أيأس يا سعود .. كنت أدعو الله يوماً بأن تكون من نصيبي.. كنت أدعو كي

يجعل الله الرضا علينا في قلوب والديك.. كنت يائسة حينها يا سعود ومازلت...

أنتظرتك كثيرًا.. في كل مرة تتركني فيها كنت أنتظرك كي تعود رغم أنك كنت تؤكد لي دوماً أنها ستكون النهاية وأنك لن تعود لى مرة أخرى..

أُجزم أن هذه المرة الأمر يختلف كثيرًا

***

أعــرف جيــداً أن مــن كانــت أرواحنــا تتلاقــى معهــم .. تلاقــت أرواحهــم مــع غيرنــا..

وقــد غادرتنــي روحــي إلى الســماء.. مــا عدنــا نجلــس هنــا ســوياً في تلــك الأرض التــي دائــمًا لا نريدهــا.. أحيانــاً أشــتاق إلى الجلــوس عــلي تلــك الصخــرة.. تلــك الصخــرة التــي شــهدت عــلي الكثــير مــن ذكرياتنــا معــاً ..

حتى و إن كانت صخرة فهي ليست كقلوبنا المتصخرة..

اهرب من عقلي... من نفسي .. ومن المواجهة ...

ميتــة أنــا في حيــاتي .. أتتبــع الخيبــات.. الكثــير مــن الخيبات.. بالأخــص تلــك الخيبــات التــي تزيــد بزيــادة عمــر صاحبهــا.. تتــوالى كالســنين والشــهور ولا تتركنــا وحالنــا...

أتتبــع مــرضي .. ذلــك المــرض الــذي يســكن بداخــلي .. لــن يمــوت إلا بمــوتي.. المــرض الــذي يجعــل قلبــي يرتجــف..

لم يكن مرضي سوى أنت يا سعود..

أشتاق إلى عالمي.. عالمي الذي كان يسبقك.

كنــت وحيــدة حينهــا.. أســكن في غرفتــي المظلمــة.. أتخيــل صديقــة لي أظــل أتحــدث معهــا طيلــة النهــار فــإذا أتــى القمــر جلســت معــه..

لم يكـن لـدي الكثـير مـن النـاس حـولي.. ولكـن لم يكـن بقلبـي هـذا الخـواء الـذي تركتـه فيـه.. لم أكـن أسـمع صوتـه يبكـي بداخـلي... لم اكـن اتطلـع إلى شيء يوقـف نزيـف قلبـي هـذا...

عندمـا أتيـت يـا سـعود ظننـت حينهـا أن القمـر أشـفق عليـا فأرسـلك من عنـده..

كنـت كل شيء في حيـاتي فلـم أكـن أريـد إلا سـواك.. فعلـت مـا بوسـعي كـي أبقيـك بجانبـي ولكنـك شـديد الغضـب و سريعـة.. لم أكـن أخشـى شيء بقـدر خشـيتي لغضبـك..

غضبك هذا يا سعود الذي أوصلني لما أنا عليه الآن

***

أتذكـر دعوتـك لي كـي نـشرب مشروبـاً بـارداً .. كانـت أول مقابلـة لنـا بعـد الكثـير مـن النظـرات..

كنـت تنتظـرني أمـام بيتـي كثـيرًا كـي تنظـر لي مـن بعيـد حتـى لا يلمحنـا أحـد.. نظراتـك تلـك كانـت تعـبر عـن حبـك الشـديد..

ذهبـت معـك كـي أراك .. جلسـت أمامـي و نظـرت لي.. كنـا نقـول نفـس

الـكلام في نفـس الوقـت.. ثـم نصمـت سـوياً .. ثـم نضحـك . .

كـم أحـب تلـك اللحظـات التـي تجمعنـا معـاً .. كنـت أشـعر بالخجـل الشـديد إذا نظـرت إليـك مبـاشرة ..

ولكنـي كنـت أنظـر إليـك لحظـات .. القليـل مـن اللحظات كـي لا تلمحني..

أحـب النظـر إلى وجهـك .. يجعلنـي أشـعر بالطمأنينـة.. تكلمنـا كثـيراً هـذا اليـوم..

وجـدت ميداليـة عـلى المنضـدة التـي نجلـس عليهـا.. سـألتك عنهـا .. فأخبرتنـي أن فتـاة مـا قـد أهديتـك إياهـا..

شـعرت حينهـا بالضيـق الشـديد .. سـألتك مـرارًا مـن هـي ولكنـك لم تجبنـي

و بعـد الكثـير مـن الجـدال أخبرتنـي أنهـا لفتـاة تحبهـا كأختـك أهديتهـا أنـت وصديقـك سـاعة و أهديتكـما أنتـم ميداليتـين..

حزنـت مـن كونـك تحتفـظ بـشيء لفتـاة أخـرى غـيري و لا ترتـدي تلـك الدبلـة التـي أهديتـك إياهـا..

حاولت تهدئتي و أضحكتني قليلًا ..

وعندما عـدت إلى بيتـي وجـدت منـك رسـالة تقـول بأنـك كنـت تـراني و أنـا أختلـس النظـر إليـك .. رسـالتك جعلتنـي أضحـك كثـيرًا حينهـا..

***

كنـا نتـدرب معـاً في نفـس النـادي.. أحـب وجـودك فيـه.. أذكـر اول مـرة اذهـب

فيها إلى النادي وقد كنت أول الحاضرين ..

كنـت واقفـة في منتصـف الملعـب منتظـرة المـدرب أن يـأتي حـين دخلـت أنـت و رأيتنـي بـدت عـلى وجهـك ابتسـامة فاضحـة..

كنّـا حينهـا لم نكـن نعـرف بعضنـا .. كنـا قـد تقابلنـا العديـد مـن المـرات ولكـن لم نتحـدث أبـدًا أو نقـترب مـن بعضنـا قط..

ابتسـامتك جعلتنـي أبتسـم أنـا ايضـاً وأنظـر مسرعـة إلى الخلـف.. شـعرت بالخجـل في ذلـك الوقـت، ولكـن قلبـي كان يرفـرف فرحًـا في الهـواء..

دائمًا كنت أرى في عينك ابتسامة حب...

انتظـر هـذا اليـوم مـن كل أسـبوع كـي أراك.. مرة مـن المرات كنـت ألبـس خاتمًـا وقـد وقـع منـي .. أخذتـه أنـت و أرتديتـه في

يـدك.. هـو لم يتخـطَ العقلـة الأولى في إصبعـك ولكنـك عرفـت مقـاسي جيـدًا.. يـدك كبـيرة يـا سـعود.. كنـت أخـبرك دومًـا اني أخـاف عندمـا نتـزوج أن تضربنـي بيـدك عندمـا تغضـب..

فتحت لك يدي كي تضع عليها الخاتم..

أخبرتنـي فيـما بعـد .. إنـك وفي هـذه اللحظـة أغمضـت عينـك و وجهـت وجهـك إلى الجانـب الآخـر كـي تمسـك يـدي و أنـت تعطينـي إيـاه..

آسفة يا سعود على إفسادي خطتك... لم أمد

أصابعي كي لا تلمس أصابعك ..

فتحـت يـدي حينهـا لفـترة قصـيرة كـي تنتبـه و تعطينـي إيـاه..

ابتسـمت حينـما نظـرت إلي و قـد كنـت خيبـت آمالـك حينهــا.. ابتسـمت مـن قلبـي حقـاً..

كل الضحكات التي كانت معك كانت من قلبي..

أعتقد أني لم أشهد على الكثير منها من بعدك....

***

لقاؤنـا الأول كان في السـادس عـشر مـن شـهر أكتوبـر عـام ٢٠١١

كنـت ذاهبـة إلى أحـد الـدروس.. لم أكـن أريـد أن أحـضر هـذا الـدرس ولكـن أجـبرت عـلى الذهـاب إليـه..

وأثنـاء سـيري و شـعوري بالضيـق كاد شـاب أن يصدمنـي بدراجتـه ويوقعنـي عـلي الارض ..

لم ألومـه فقـد كانـت الأرض مليئـة بالمعرقـلات التـي تكفـي لتوقعـه أرضًـا..

كان هذا الشاب أنت يا سعود...

نظرت خلفك بعد أن تخطيتني ونظرت إلي..

لم أنـسَ هـذه النظـرة مطلقـاً .. مازلـت أذكرهـا وأشـتاق لهـا..

هـذه المـرة الأولى التـي أشـعر فيهـا أن قلبـي يخفق .. شـعرت بنبضـات قلبـي ترتفع ...

نظـرت حـولي خائفـة مـن أن يسـمعها أحـد .. كنـت أعتقـد مـن شـدتها بـأن مـن

حولي سيسمعونها..

ومـن هنـا بـدأ أحسـاسي بـك.. منـذ هـذه اللحظـة وأنـا أشـعر بـك.. عندمـا نكـون سـويًا في نفـس المـكان ولا آراك .. ينبـض قلبـي بشـدة فأعـرف أنـك موجـود بالقـرب منـي ..

عندمـا وصلـت إلى هـذا الـدرس .. كانـت المفاجـأة بالنسـبة لي.. أنـك موجـود و سـتحضر معنـا الـدرس طيلـة هذا العـام...

ابتسم قلبي عند رؤيتك وإن لم تبتسم شفتاي ...

***

مـرة مـن المـرات حلمـت حلـم مخيـف.. كان هـذا الحلـم يشـبه حياتنـا معًـا..

دائـمًا كنـت تتركنـي خلفـك وتمـضي في حياتـك وكأن شيء لم يكـن..

أشـعر بالوحـدة الشـديدة في غيابـك .. أخبرتـك كثـيرًا بأنـك كل مـا أملـك في هـذه الحيـاة..

تتركنـي وتعـود .. وتتركنـي وتعـود وظلـت حياتنـا عـلى هـذا النهـج كثـيرًا..

كنـا أنـا وأنـت فقـط في هـذا الحلـم.. كنـا نمـضي سـويًا ونحـن في غايـة السـعادة لكـن الطريـق كان طويـلًا وكافيـاً لأن يجعلنـا نشـعر بالملـل... لم أكـن أخشـى أن أشـعر بالممـل فأنـا

يكفينـي وجـودك فقـط فهـو الـشيء الـذي يجعلنـي سـعيدة..

كنـت أخـاف أن تشـعر بالملـل فتتركنـي.. ولكـن أظـن أنـك شـعرت بالملـل

بالفعل..

حتـي وجدنـا أريكـة .. أخبرتنـي أن أنتظـرك عليهـا وأنـك سـتأتي قريبـاً..

أنتظرتـك لفـترة طويلـة ولم تـأتِ بعـد.. طالـت الأيـام وأنـا أجلـس عـلى هـذه الأريكـة التـي أخبرتنـي أن أنتظـرك عليهـا .. طـال انتظـاري ولكنـك لم تـأتِ بعـد .. تـشرق الشـمس وتغـرب وأنـا في انتظـارك وحيـدة.. مللـت الوحـدة.. مللـت مـن بقائـي هنـا وحـدي .. مللـت كل شيء ولكنـي لم أفكـر في ذهـابي...

بكيـت مـن خـوفي .. يحـل الليـل فـأرى أعـين الوحـوش تحملـق بي ..

جسـدي يرتعـد مـن هـذه الاصـوات التـي أسـمعها.. أغلـق عينـي مـن شـدة الخـوف...

فأسـتيقظت عـلى نـور سـاطع.. فتحـت عينـي مسرعـة متلهفـة ظانـة بـأن هـذا النـور نـورك...

فـما هــي إلا الشــمس تشـفق عليـا بنورهــا.. وحقًــا متــى يحظـى بـما تمنـى عاشـق..

وحديـث في نفـسي أقولـه يومـاً فيومـاً ومـا زلـت أنتظـر.. وفجـوة في القلـب لا أعلـم مسـارها .. وعقـاب كسـجن أبقـي فيـه وحيـدة..

لم يــأتِ ببــالي أنــك لــن تــأتِ وظللــت جالســة أنتظــر أتيانــك..

ذهبــت كــي أجــد مــاءاً .. بحثـت حـولي فلـم أجـد شيء أبــدًا... عــدت فوجـدت منـك رسـالة.

تقول فيها:

بأنــك قــد اتيــت وانتظرتنــي ســاعتين ومللــت الانتظــار فرحلــت...

كتبــت فيهــا انــك لم تظــن يومًــا أني ســأتركك وهــا قــد تركتينـي ورحلتـي. تقـول بأنـك فكـرت كثـيرًا ألا تـأتي خشـية رحيــلي.. وقــد تحقــق مــا كنــت تخشــاه .. وتركــت لي رســالة حتــى إذا عــدت في يــوم مــن الأيــام نادمــة أجــد أنــك قــد انتظرتنــي وأنــا لم انتظــرك...

انتظرتك ايام وشهور بل سنين وانت أكتفيت بساعتين..

لم تنتظرني يوماً يا سعود.. ذهبت تاركاً ورقة قد تطير مع هذا الريح كما ذهبت أنت.. وليتها طارت..

وظللت أنا وحدي .. وحدي يا سعود.. لا اعلم.. أضحك أم أبكي..

ليتها طارت قبل أن أعود ...

***

أنت حساس للغاية، تشعر بمن حولك بشدة و تتألم لآلامهم..

حدث موقف ما إلى شخص عزيز عليك..

كنت نائمة فأستيقظت على رنة هاتفي ..

سألتني : ماذا تفعلين يا براءة ؟ ..

- أنا نائمة يا سعود ..

- وما الذي يثبت ذلك ؟!

- يثبت ماذا؟

يثبت أنك نائمة ولستِ في مكان آخر وتكذبي عليا ؟!

- لماذا أكذب يا سعود، أنا بالفعل نائمة ..

أعتـلى صوتـك وأخـذت ترفعـه و تتكلـم بغضـب شـديد .. خفـت منـك جعلتنـي أبكـي بشـدة ..

- لا تبكي و تحدثي معي كما أحدثك

- ماذا بك يا سعود.. أخبرني ماذا حدث..

- أخبريني أنتِ ما الشيء الذي فعلتيه وتخفيه عني ..

- صدقني لم أفعل شيء .. لم أُخبأ شيء ..

- اعـترفي الآن أفضـل لـكِ .. إن أكتشـفته وحـدي سـتكون نهايتـك معـي . سـأتركك للأبـد ..

- بـالله عليـك يـا سـعود لم أفعـل شيء .. صدقنـي كنـت نائمــة ..

- أخبريني بما فعلتي يا براءة.. أخبريني الآن ..

وأخـذت ترفـع صوتـك أكثـر و تشـتمني.. كنـت أرتعـش مـن البـكاء و لم أكـن أعنيـك..

بعـد سـاعة مـن البـكاء ومحـاولات مـن أن تخـبرني مـا الـذي يحـدث ..

قلت لك أخبرني أنت بما فعلته وأنا متحملة للعقاب ..

أخبرتني أنك فعلت هذا كي تريني شخصيتك كاملة.. أن تريني حقيقتك كاملة.. حتى لا تكون قد خدعتني بعد زواجنا..

لم تكن تلك بطبيعتك يا سعود..

قد تقمصت أسوأ من الشخص الذي آذي من تتألم لآلامهم ... أعرف جيداً أنك تأثرت بوجعهم فإذا بك تأتي لتوجعني...

بكيت يا سعود.. بكيت بصوت مكتوم.. أنا أتألم كألمك أيضًا عليهم.. لا أحتاج إلى المزيد من الألم كي أشعر بك أو بهم..

لم ترد علينا إلا بلا تحزني .. اتركك لتنامي يا براءة.. تصبحين على خير..

من أين لي بالخير أخبرني.. كيف سأصبح بخير.. كيف سأنام بعد ما فعلته بي..

لطالما آلمتني وأنت لا تعي ذلك ..

كنت في ذهول تام مما حدث بكيت حتى رحت في نوم طويل كالذي هد الجبال ثم راح ليرتاح..

***

خلال دراستنا في بلدتنا كنا نصادف بعضنا في الطرقات.. نكتفي بابتسامة عابرة جميلة تعبر عن حب كلا منا ..

تتذكر يا سعود يوم من أيام الامتحانات .. كان الشارع مزدحم بالناس .. وإذا بأصدقائي يدفعوني خارجاً من كثرة الزحام ... لأجد نفسي أمامك ..

لا أعرف كيف حدث هذا .. ولكني تصنمت في مكاني.. نظرت إليك

بدهشة عارمة.. ظننت حينها بأن العالم توقف عند هذه اللحظة كي أُطيل النظر إليك ..

ابتسمت لي .. وما أجمل ابتسامتك..

ابتسامتك تلك المليئة بالحب والحنان .. أحب حنانك الذي حرمتني منه مؤخرًا..

ما زلت أحبك يا سعود.. أحبك كحب الطفل إلى والديه.. كنت لي كل شيء.. أكذب عليك إن قلت أنني لا أريد أن أقتلك كما قتلتني ولكنك أرهقتني لدرجة أنه لا قدرة لي على قتل نملة ..

***

«أتيت لكِ بسلسلة»

كنـا في إحـدى الأيـام في ذلـك النـادي الـذي نتـدرب فيـه سـوياً .. أتيـت لي في هـذا اليـوم بسلسـلة .. أخـذت نصفهـا و أعطيتنـي النصـف الآخـر .. منـذ ذلـك الوقـت وأنـا أرتديهـا..

أعتقد أنك تخلصت من نصفك الآن ...

أتيـت لـك حينهـا بدبلـة .. وضعتهـا لـك عـلى الأرض حتـى لا ينتبـه إلينـا أحـد تدحرجـت الدبلـة بعيـداً .. كنـت أضحـك عـلى ركضـك خلفهـا ولكنـك في النهايـة توصلـت إليهـا و أرتديتهـا وأنـت تنظـر إلي وتبتسـم .. لمـدة عامـين وأنـت

ترتـدي تلـك الدبلـة .. كنـت أراك تُقبلهـا دومـاً .. تُقبلهـا بحـب شـديد .. كنـت أراك وإن لم تكـن تـراني.. أجـزم أن حبـك حينهـا لم يكـن لـه مثيـل ..

لم أشـعر يومـاً أن مـا بيننـا حـب فقـط .. كنـت أشـعر بـأني جـزء منـك و أن قلبـك بـين ضلوعـي .. وقلبـي بـين يديـك .

تأكـدت بعدهـا إن قلبـي حقًـا لم يكـن سـوى بيديـك.. تعتـصره متـى أردت و ترحمـه عندمـا تشـاء ..

أرهقني حبك يا رجل ..

***

أنـا قلبـي كالحجـر.. لا أحـن إلى أي شيء .. لا مـاضي يؤلمنـي .. ولا حـاضر يعنـي لي ...

كبريائـي... كرامتـي .. شرفي .. عـزتي .. قلبي .. مشـاعري ..

هـم أعـز مـا أملـك .. فـلا تحـاولي أن تهزمينـي في معركـة الحيـاة ..

كنت هكذا معي يا سعود ..

كنت هكذا معي أنا فقط ..

بعـد مـرور أعـوام عـلى حبنـا توقفـت عـن قـول الكلمـة التـي تبعـث الأمـان بداخـلي ..

توقفت عن قول «أحبك»

طلبتها منك مراراً ولكنك لم تستمع لي..

حتـى الآن لم أسـمعها منـك أبـدًا يـا سـعود .. كـم كان حبـي ثقيـل عليـك ..

أنـام باكيـة ظانـة أنـك سترسـل لي ولـو رسـالة واحـدة تخـبرني أنـك تحبنـي..

لا أعرف لمَ دومًا كنت أنتظر أن تشعر بي..

أن تشـعر بألمـي كما أشـعر بـك .. لم تشـعر بي يومًا يا سـعود ..

انام باكية الكثير من الوقت ولم تطيب لي خاطراً يوماً ..

كـم أكـره هـذه الأوقـات التـي لم تكـن بجانبـي فيهـا رغـم وجـودك يـا سـعود..

اتصلت بك ذات مرة..

- سعود كيف حالك ؟!

- بخير .. ماذا تريدي

كنـت أشـعر بالضيـق في ذلـك الوقـت فكيـف لك ألا تشـعر بذلـك مـن صـوتي .. كيـف تـرد عليـا رد هكـذا

- أشعر بالضيق

- لماذا ؟! مالذي حدث ؟!

- لم يحدث شيء يا سعود و لكني متضايقة ....

- اذهبي لتصلي وأقرأي قرآن ثم نامي ..

كنـت أفعـل ذلـك دومـاً يـا سـعود .. لكـن الآن أريـدك بجانبـي .. لا أعلـم إن كنـت مشـغولًا أم لا ولكنـك كنـت تفضـل الكثـير مـن الأشـياء عليـا.

أخبرتك حينها .. بأني سأفعل ذلك .

سلام يا براءة

سـلام.. تعشـق هـذه الكلمـة .. تقولهـا دومـاً وتنهـي حديثـنـا وإن لم نكـن انتهينـا عندمـا تريـد وتغلـق في وجهـي..

سـلام .. معنـى هـذه الكلمـة كان يجـل أن يبعـث الراحـة والأمـان بداخـلي عنـد سـماعها ..

ولكنك جعلتني أكرهها كثيرًا يا سعود

***

إن ما يؤلمني أعظم من أن يقال ..

مـا يؤلمنـي حقـاً ذلـك الانطفـاء الـذي جعلتنـي فيـه .. وتلـك الضحـكات التـي أختبـأ ورائهـا .. ومحـاولاتي العديـدة في جعـل أحـزاني مزحـة وسـخرية وأنـا أفيـض مـن الدمـع..

وتلـك الاوقـات التـي أود فيهـا بـأن أغمـض عينـي فينتهـي كل شيء ..

ذلـك الانطفـاء الـذي تسـبب في قتـل حماسـتي وبـراءتي ونظـرتي للحيـاة ..

ونظراتك لي بعد أن انطفأت ..

ومراقبتي لك وأنت تنهي طريق لقيانا .. وجعلي أكره نفسي لأبتعد عن كل جميل يود الاقتراب مني ..

لأستتر وراء ستار يخبئ جمال روحي .. كي أنجح في الفرار منه ..

كي يرحل ويتركني وشأني ..

لا أعلم متى بدأت في تعذيب نفسي؟ ولا أعرف ما هو ذلك الذنب الذي أقترفته ..

ليذيقني عذابه في كل يوم وكل ليلة وفي كل حلم أحلم به ..

ليتحول بداخلي إلى كابوس لا أستطيع الفرار منه .. لأشعر بتلك التنهيدة التي تؤلم قلبي .. وذاك العرق المتصبب من جسدي..

لأستيقظ فزعة..

ما كان هذا الذي أشعر به ؟!

ذلك الوجع الكامن الذي لا يشعر به غيري ... على الارجح أن الخوف بدأ في تآكل جسدي .. حتى صرت هشة .. هشة للغاية.. يمكنني أن أتطاير وأفنى بمجرد نفحة هواء ..

***

«إن غاب نصفك .. إياك أن تملئ فراغك بالعابرين«

لا أعلـم لمَ أبتعـدت عني هـذه المـرة .. ولكـن قبـل بضعـة أشـهر مـن الآن تركتنـي ..

قلت لي بأنها النهاية وإنك لا تستطيع أن تتحمل المزيد ..

في هـذه الفـترة أرسـل لي شـاباً رسـالة .. هـذا الشـاب كنـت اعرفـه معرفـة سـطحية ..

كان يحضر معي بعضاً من الدروس ..

أرسل لي بأنه يحبني ويريد الارتباط بي ..

تعرف أني لن أوافق أن أرتبط بغيرك حتى وإن تركتني ..

أرسـل لي بعضـاً مـن أصدقائـي ليقنعـوني .. ولقـد بـدأوا في إقناعـي قائلـين تلـك الجمـل السـخيفة ..

لابـد لي أن أنتبـه إلى حيـاتي وأن أتوقـف عـن هـذا الاخـلاص الـذي أكنـه لـك .. وأنـك قـد تركتنـي بالفعـل فلـماذا لا أرتبـط بغـيرك ..

كنـت اتـألم بسـبك في هـذا الوقـت .. ذلـك الألم كان كفيـل بـأن يجعلنـي أنهـي هـذا الحـب وأنتبـه لسـعادتي .. ولكنـي لم افعـل ذلـك ..

أخبرتـك إن تـركك لي كالخنجـر في قلبـي .. أخبرتـك مـراراً أن هـذا الخنجـر يؤلمنـي وبشـدة ..

كنـت تدعـي دومًـا أنـك سـتخلصني منـه.. كنـت تخرجـه ببـطء شـديد مـن قلبـي..

حتـى كـدت ان تقتلنـي .. حتـى انـك شـعرت بـأني أمـوت بـين يديـك ..

لدرجـة أنـك ذهبـت مسرعـاً لإحضـار أكـبر قـدر مـن السـيوف كـي تضعهـا في قلبـي .. ظنـاً منـك أنـك سـتحييني ..

لقد قتلتني بالفعل .. قتلتني يا سعود بتركك إياي ..

جعلـت مـن حبـي مزحـة يتداولهـا الكثـيرون .. أشـعر بصديقـاتي يسـتخفون بي وبحبـي لـك..

دائـماً كنـت اذكـر لهـم بأنك مختلـف عـن الجميـع .. كان هناك أوقـات أظـن فيهـا بـأني وحـدي التـي تـراك .. بأنـك ملاكـي .. كنـت اتعجـب عنـما أشـاور عليـك وتـراك صديقـاتي ..

أخذت فترة من الزمن كي أدرك أنك موجود بالفعل ..

ينظرون لي بشـفقة يا سـعود على مـا أوصلتني إليـه من حال ..

أصبحـت أضحـك كثـيرًا ومـا في قلبـي أعظـم مـن أن يُوصـف ببـكاء أو دمـع ..

قتلتني يا سعود وإن لم تكن تعلم..

كنـت أرى أن هذا الشـاب يحبنـي ... كان يهتم لأجـلي كثيراً ..

عندمـا أكتـب شيء حزيـن عـلى صفحتـي.. يرسـل لي كـي يخفـف عنـي .. عندمـا أكتـب شيء سـعيد يرسـل لي بأنـه فـرح لفرحتـي .. عندمـا يـراني يرمقنـي بنظـرات حـب كالتـي كنـت تنظـر بهـا إلي منـذ زمـن بعيـد ..

لم أرد عليـه ابـدًا يـا سـعود .. لم أعـيره انتباهـي ولـو للحظات .. رغـم إحتياجـي للحـب والحنـان وهـذا الاهتـمام .. لم أعـيره انتباهـي أبـدًا يـا سـعود..

أنـا لا أرفـع عينـي عـلى رجـل غـيرك ظنـاً منـي أن نظـرتي قـد تكـون خيانـة لـك يـا سـعود ..

أوقفني هذا الشاب ذات مرة قائلاً ..

أريـد أن أجعـل منـكِ حبيبتـي .. تركتـه مسرعـة يا سـعود... قلـت لـه آسـفة ولا يصـح لـك بـأن تفعـل هذا مـرة أخـرى..

تركته مسرعة أبكي على غيابك..

قــررت أن أتصــل بــك بعــد أن أرســلت لــك برســالة شرحــت لــك فيهــا مــا حــدث مــن البدايــة .. أكتفيــت مــن بدايــة أنــه أوقفنــي ..

أجبتني وقد أشتد غضبك وأرتفع صوتك للغاية ..

- لا يـا بـراءة لا .. لا أريـدك .. أليـس هـذا مـا تـودي سـماعه ..أليـس هـذا ؟!

أجيبي ؟!

عندما تحدثني بهذه النبرة أخشاك ..

أجبتك .. لا يا سعود .. أنا أحبك ..

- أين هو ذلك الحب !

لقد فعلتي ما تريديه .. ما الذي تنتظريه مني الآن ..

فعلتـي مـا أردتي يـا بـراءة ولم تهتمـي بي .. وقفتـي مـع رجـل غـيري .. مـاذا تريـدي الآن ..

لا أريـدك .. لا أريـد أن أتحـدث معـكِ بعـد الآن .. لا تتحدثـي معـي ثانيـة يـا بـراءة ..

تقـول هـذا بعـد مـرور ثلاثـة أشـهر عـلى مقاطعتـك لي .. لم تتطمئـن ولا تسـأل عليـا لمـدة ثلاثـة أشـهر يـا سـعود ..

قلـت لي قبلهـا إنـك لـن تعـود إلي مـرة أخـرى ... وتشـعر بالغـيرة الآن أم مـاذا

مـا الـذي تحـاول أن تفعلـه يـا سـعود .. لم أسـألك لأني أريـد الارتبـاط بغـيرك .. فمتـى أردت فعلـت هـذا بـدون استئذانك.. أنـا لا أحتـاج لأن اسـتأذنك في شيء كهـذا ... قـد تخليـت عنـي.. وتظـن أني اسـتأذنك أم مـاذا ..

سـألتك لأشـعر أنـك مـا زلـت تحبنـي وإنـك لم تتركنـي بعـد .. صرخـت عليـا يـا سـعود.. وأخبرتنـي أنـك لم تعـد تريـدني ..

تغـيرت يـا سـعود .. تغـيرت إلى الحـد الـذي جعلنـي لا أفهمـك أو أفهـم أي شـئ تقولـه أو تريـده ..

لم أكن أوافق من البداية ..

أخـبرت صديقـاتي بـأن يخـبروه أني مرتبطـة برجـل آخـر .. هـذا الرجـل الـذي أكـرس حيـاتي مـن أجلـه جعلنـي أبكـي كل يـوم...

ألم تشعر بي يومًا يا سعود !!!

***

لا أعلـم لمَ أتوجـع الآن.. لمَ أشـعر بهـذا الثقـل الشـديد عـلى قلبـي، أتمنـى أن يتوقـف هـذا النبـض السريـع أن يتوقـف قلبـي إلى الأبـد .. تـشردت أفـكاري .. مـا عـاد لـدي القـدرة عـلى التحمـل طويـلاً .. أريـد أن أصرخ في هـذا العـالم المخيـف..

أردت دائـماً أن أجلـس بعيـداً .. بعيـداً عـن تلـك الضوضـاء التـي شـوهت نفـسي..

وذلك الوقت الذي يمر وأمر

الـذي لا ينسـيني مـا أريـد نسـيانه.. الـذي إذا بغضتـه مـر ببـطء .. وإذا أحببتـه مـر بسرعـة الـبرق و كأنـه يتلـذذ بعـذابي.. أو كان يسـدي إلي خدمـة حينـما يمـر ببـطء كـي يعطينـي فرصـة الحـزن بصـدق ..

أخـاف كثـيرًا، أخـاف مـن اشـياء عديـدة .. أخـاف أن يـأتي الليـل فأبـدأ بجلـد نفـسي.. أخـاف مـن الظلمـة ..

ظلمـة قلبـي قبـل الأمكنـة.. أخـاف مـن أحلامـي.. والتـي دائـماً أبـدو راكضـة فيهـا ولا أسـتطيع النجـاة أو الهـرب ..

ثـم أفيـق عـلى تلـك اللحظـة.. لحظـة تحديـد المصـير.. أخـاف مـن المصـير..

أخاف من سعادتي التي لم أعيشها بعد ..

أظـن أن أفضـل شيء يمكـن أن يُوهـب في هـذا العـالم هـو الأمـان ..

الأمان الذي ما عاد موجود ...

***

كتبت اليوم مقال صغير.. كتبت فيه شيء يشبهنا يا سعود.. كتبت أني سأخبئك بقلبي وأغلق عليك.. ثم أضع قلبي داخل صندوق خشبي واضع هذا الصندوق داخل آخر من الحديد ثم أحفر في الأرض أعماق كبيرة كذلك البئر الذي دفعتني فيه بالأمس وتركتني لحجة أنك ذاهب لتأتي بالحبال ..

لطالما كانت حججك سخيفة يا سعود ...

ولكني دائمًا كنت أتقبلها ولا أشتكي...

وأنه لم يكن قصدك أن تُلقي بي..

وسألقي بالصندوق في تلك الحفرة التي صنعتها.. كما ألقيت لي الحبال ولم تكن تريد أن ترفعها مدعيا بأنك لا تقوى على حملي.. لأنك عطش للغاية وتعبت من طول المسافة التي ذهبت فيها وحيداً كي تجد حبلًا.. لقد كنت تسحبني ببطء شديد يبعث الخوف بداخلي...

وعندما وصلت إلى المنتصف تركتني أفلت من يدك مرة أخرى ..

قائلًا بأن الحبل قد قُطع .. وما أسوأ الدنيا لتفعل بنا هكذا ..

وإنـك ذاهـب لتـأتي بـشيء أقـوى، صرخـت كـي لا تتركنـي.. فقـد كان يكفينـي وجـودك بالقـرب منـي .. ولكنـك لم تسـتمع لي كـما لم تسـتمع لي أبـداً ..

وتركتنـي وحيـدة مـرة أخـرى.. بكيـت وأنتظـرت وأرتعبـت..

شـعرت بالضيـق واليـأس و كـدت أفقـد الأمـل في إتيانـك.. كنت وحيـدة..

وحيدة جدًا.. كالذي أنا عليه الآن ..

الكثـير مـن السـنوات وأنـا أمـوت وجعًـا وفي انتظـارك.. وأخـيرًا قـد أتيـت قائـلًا أنـك ستسـتريح قليـلاً وبعدهـا ترفعنـي..

ولكنـي عندمـا سـأصل سـأعطي لـك كـوب مـن المـاء لأنـك ذكـرت لي أنـك عطـش للغايـة.. وسـأخبئك بقلبـي هـذه المـرة.. وسـأضع قلبـي داخـل صنـدوق خشـبي .. وسـأضع هـذا الصنـدوق داخـل آخـر مـن الحديـد وسـألقي بـه في هـذا البئر ..

ولكنني سأردم هذا البئر هذه المرة

***

كل مـا كنـت أريـده منـك يـا سـعود أن تتعامـل معـي بحـب.. أن تكـون كل نوايـاك صادقـة.. أن لا تقـول شيء وتُخفـي شيء.. أن لا تُخفـي شيء وتقـول شيء...

نحـن لم نُخلـق في حـرب يـا سـعود.. تلـك المشـاعر يسـهل علينـا تقديمهـا بصـدق.. فقـد وُهبنـا إياهـا كـي نتبادلهـا..

لا أعلـم لمَ تـأبَ وهبهـا وتظـل مـواري ذاك الجـزء خلـف قلبـك..

تلـك الطيبـة و ذاك الحنـو وهـذه الرحمـة .. التـي وضعـت بينـك وبينهـم ألـف جـدار وجـدار .. كـي تظهـر لي هكـذا..

أيفرحك هذا التصنع ؟! ...

التصنـع الـذي طالمـا اتهمتنـي بـه.. أم تظـن أنـه ليـس بيـدك حيلـة ؟! ..

إن قلبـي يؤلمنـي كل يـوم مـن تلـك الأشـياء التـي تفعلها بي..

تؤثـى عليـا بفظاعـة.. فتنشـأ حـرب بداخـلي.. ثـم أتعـب مـن رهـق التفكـير .. فيمـوت جـزء مـا بداخـلي.. ثـم ابـدأ في نسـج خيـوط التصنـع .. حتـى أسـتطيع أن أعـود مـرة أخـرى كـي أنـزع هـذا الثيـاب السـخيف..

ولكنك لم تعود قط ..

تحب نفسك هكذا أليس كذلك ؟!..

***

أستيقظت اليوم على رسالة منك..

كنت قد أخبرت إحدى صديقاتي قبل إرسالك لهذه الرسالة أنني شعرت بألم شديد في قلبي .. ان قلبي يؤلمني وأشعر أن بك خطب ما.. قد مر على ابتعادك عني أربعة أشهر ..

كان هذا الوجع شديد بالفعل ...

حتى أستيقظت على رسالة منك مكتوب بها خمس كلمات فقط..

« هل من الممكن أن تسامحيني ؟!»

أرسلت لك .. بالطبع .. إن الله يسامح من أنا كي لا أسامحك..

رددت عليا.. بكلمات أثبتت أن وجعي لم يكن هباءاً يا وجع قلبي..

«إنني تعب في حياتي يا براءة.. سامحيني من قلبك«

أعانك الله يا سعود و هداك.. لا تقلق ..

بعدها بيومين.. أرسلت لك رسالة أخرى..

« لم ارسل لك كي أبدأ محادثة معك إطلاقا فأنا لست بحاجة إلى ذلك.. لأني أدرك جيدًا أن ما بيننا قد انتهى بالفعل -لم أدرك هذا حتى الآن يا سعود فقد كانت مجرد كلمات- أردت ان أخبرك أني سأختم لك القرآن بنية أن يرضيك الله ويعطيك ما تتمنى.. حتى لو كان ما تتمناه فتاة أخرى

كتبت هذه الجملة الأخيرة وأنا أموت وجعاً .. لم تكن يدي لتطاوعني على فعل ذلك..

فكيف لي بتمني مثل هذه الأمنية لك .. لحبي الأول والأخير..

أظنها تحققت يا سعود ..

كنت تريد فتاة غيري حينها.. أموت وجعاً وأنت تفكر في فتاة غيري..

تجرحني يا سعود ..

قبل إرسالك هذه الرسالة بأربعة أشهر .. وعندما حدثتك عن ذاك الشاب الذي أراد أن يتقدم لخطبتي ..

أخبرتني حينها أن في حياتك فتاة أخرى غيري..

سألتك.. أهي حبيبتك ؟!

أخبرتنـي.. أقمـت معهـا علاقـة يـا بـراءة ... هـي للتسـلية فقـط..

لا أعـرف متـى بدأ هـؤلاء الرجـال في تصنيفنـا.. متـي صُنفنا

تلك للتسلية... وهذه للحب.. وأخرى للزواج.

إن كانوا لا يعلمون فكلنا واحد في الأخير...

كنـت تتسـلى بإحداهـن.. سـيتزوجها رجـل آخـر فتصبـح زوجتـه.. والتـي تتزوجهـا قـد تكـون حبيبـة رجـل آخـر أو ربـما تسـلية لثالـث..

لمـاذا تفعلـوا بنـا هكـذا .. لمَ تقضـون عـلى مشـاعرنا تسـتنزفونها شيء فـشيء.. متـي صُنفنـا لا أعلـم ...

كم كان لكلماتك القدرة علي كسري بل تحطيمي ..

شـعرت في ذلـك الوقـت بارتفـاع شـديد في درجة حـرارتي.. مرضـت أسـبوعين كاملـين، انخفـض ضغطـي وعانيـت مـن الصـداع الشـديد ..

كنـت أبكـي كل لحظـة.. لم تكـن تكـف عينـي عـن البـكاء أبـدًا .. جمـر في قلبـي

يتـألم قلبـي ولا أسـتطيع إخمـاد هـذه النـيران التـي وضعتـه فيهـا .. صرخنـا يـا سـعود.. صرخـت أنـا وقلبـي كثـيرًا..

وبعد هذه المعاناة.. إذا برسالتك سامحيني...

أُسامحك علي ماذا ؟!

عـلى خيانتـك لي بعـد سـبع سـنوات مـن الحـب والاخـلاص لك . .

أم عـلى جعـلي متعلقـة بـك .. أم لأنـك أخبرتنـي قبـل عامين أننـا لا نصلـح حبيبـين ولنبقـى أصدقـاء .. أو حتـى أبعـد مـن اصدقـاء كـما قلـت ..

على خيانتك .. أو لأنك لا تعتبرها خيانة في الأساس..

ألا تدرك أنك أسرت قلبي طيلة هذه السنوات ..

لم أكن أريد أن أرد عليك يا سعود..

أمسـكت هاتفـي وكتبـت عـلى صفحتـي .. أيقنـت أنـه لابـد مـن المسـامحة في نهايـة الأمـر .. حتـى وإن كانـت قلوبنـا تبكـي كل يـوم .. فأنـا أحتـاج إلى السـمو فـوق كل شيء .. تتـاح لنـا الفرصـة أحيانًـا بـأن نقـضي بقيـة عمرنـا نجـتر ذكريـات الألم واللوعـة عـلى مـا أصابنـا ونقـضي بقيـة عمرنـا نكـره

بعضنا بعضاً .. نتذكر تلك السنين التي قضيناها معهم ثم نجد قرارهم بالتخلي.. تصديقنا بأننا لسنا كافيين كما أقنعونا..

تفكيرنا اللا متناهي عن سبب كرههم لنا وابتعادهم عنا.. وعن الذنب الذي اقترفناه دون وعي منا .. إلى أن نصل في النهاية إلى كره أنفسنا .. وذلك الزمن الذي يمر ببطء شديد و ألم أشد .. أو نتذكر أرواحنا التي سُلبت منا جزء فجزء حتى أنه لم يعد من السهل رجوعها إلى ما كانت عليه ..

أو نتذكر أنهم كانوا سبب في فقد جزء من إيماننا وفي بساطة نظرتنا للكون وحتى أنفسنا .

وعجزنا عن الرد أمام إهانتهم المتعددة وشعورنا بالقهر والسنين التي قضيناها في تجاوزه ..

ولزمن انهدر وأفكار ترسخت بداخلنا .. وسعادة مقتولة في كل مواطن أفراحنا ..

لمشاهدة ناقصة وذكرى دائماً مؤلمة..

أو أننا نسمو فوق كل شيء ونشعر بذاك الصفاء الغريب وذلك الود والتفهم تجاه جميع الناس، شعرت بأنه بإمكاني أسامح كل الناس ..

أسـامح الحيـاة .. أسـامح نفـسي .. أسـامح كل شيء بنيـة صادقـة..

***

قرأت على صفحتك بأن حلمك قد ضاع..

لوهلـة ظننـت أني محـض حلـم مـا.. لا أعلـم لم ولكـن ربـما كان آخـر بريـق في عينـي.. وقـد انطفـأ ..

وهلـة أشـبه بنقـاط آخـر السـطر في حياتنـا .. أتذكـر أيضًـا أني كنـت تلـك الأربـع نقـاط في يـوم مـا....

أتعجـب مـن ذلـك الفتـور الـذي أصـاب الكثـير.. وكأن الحـزن أسـكن النـاس فيـه..

أنـزل عليهـم مطـرًا .. حاصرهـم في سـجون سـوداء.. جعلهـم يـرون أحلامهـم جدبـاء والطـرق إليهـا معرقلـة..

وكأن أيديهـم نفضـت الأمـل منهـا... وفرغـت قلوبهـم مـن الرضـا.. يستسـلمون لانحنـاء ظهورهـم مـن ثقـل أوزارهـم.. لا يفكـر أحدهـم بإقامـة جسـده تـاركاً الحـزن جانبـاً مودعـاً إيـاه بابتسـامة ويمـضي راضيـاً.. يتذكـر أن الله قـادراً عـلى ذلـك الحـزن وأن أمـرك عليـه هـين.. أهـون بكثـير مما تظـن..

كان ذلـك عندمـا علمـت أن حلمـك هـو أن تتخـرج بتقديـر عـال وليـس أنـا..

ياه لحماقتي ..

***

ذهبـت اليـوم الي الجامعـة .. جلسـت في المـكان الذي جلسـنا فيه ســوياً ..

أتذكـرك وأبتســم .. أنظـر إلى هــذا الحائـط الــذي ألتقطنـا أمامــه بعــض الصــور..

كنــت ســعيدة في هـــذا الوقـــت.. شــعرت بالعطــش كــما شــعرنا بــه ســوياً ..

ســألتك حينهــا تريــد أن تــشرب.. تفاجئــت لأنــك حينهــا شــعرت بالعطــش بالفعــل

ذهبـت لأشرب مـن نفـس المـكان .. ذهبـت في نفـس الطريق وعــلى نفـس الخطـوات.. عندمــا وصلــت تذكــرت عندمــا شربـت مـن يـدك.. شـعرت في ذلـك الوقـت أن هـذه المـرة فقط هــي التــي أرتويــت فيهــا.. أشــعر بحبـك خــلال نظراتـك يـا ســعود .. أحبــك .. أحــب لحظاتنــا معًــا... أحــب عينــاك.. أحبهــم بشــدة..

تعجبت من قولك « أحب عروق يدكِ»

أتحبها لأنك تجري فيها يا سعود.. أم لأنك تحبني ..

كيف أبتعدت عني يا سعود.. كيف تركتني بعد هذا الحب..

شربت وعدت مرة أخرى إلى نفس المكان.. سرحت أفكر فيك، كيف حدث كل هذا... ليته حلم ؟! أريد أن أستيقظ لأجدك بجواري

أيامك الأولى في الجامعة كنت تنتقد المصاحبة بين الشباب و الفتيات..

أخبرتني أنه لا تعجبك تلك الفتيات.. يفعلون ما يشاءون لأنهم يعرفوا جيدًا.. بعدم وجود رقابة في هذا المكان ..

فكيف أصبحت مثلهم الآن ؟!

كيف أقنعت نفسك بما تفعله الآن ؟!

أخبرني بالله عليك،ألم أأتي ببالك لحظة.. ألم تفكر بي ؟!

نسيتني بالفعل...

***

أتـألم يـا سـعود ومـا في قلبـي أعظـم مـن أن يقـال.. وأحمـالي تتزايـد يومًـا فيومـاً ..

أهـرب مـن الدنيـا هربـاً ... أهـرب دون أن يلتفـت بـصري إلى الـوراء..

لا أعلم أحباً فيها أبغاها أم كرهًا فيها أهرب منها ..

أركـض وراء حلـم ضللـت لـه الطريـق .. ضـل عقـلي مسـعاه.. تخالطـت عليـا الأمـور .. مـا بـين السـعي والركـض وراء مـا أشـتهي ..

كثـير مـن رهـق الانتظـار .. قلبـي مرتجـف.. إن سـألتني مما أخـاف؟!

فلن أعرف بما أجيب..

ونفـسي تحيـد عـن الطريـق وتتبـع الهـوى.. تسـارع بي إلى الذنـب فالذنـب..

وهمـوم أثقلـت كاحـلي فـما عـدت أحتمـل.. وأحـلام تتهـاوى أرضًـا أمـام عينـي ولا قـدرة لي عـلي لم شـتات أمرهـا..

وأوهام تتبعها أوهام ..

ونفـس ضـاق عليهـا الزمـن وقلبـي بـين ضلوعـي بـكل مـا يحملـه لـن يُـرى .. لـن يشـعر بخفقاتـه السريعـة إلا أنـا ..

تلـك الحيـاة تقتلنـي شيء فـشيء .. وكأني خلقـت لأمـوت عـلى دفعـات متتاليـة.. قتلـت سـعادتي وشـغفي ثـم أخـيرًا روحــي .. وكل ذلــك كان

بمساعدتك يا سعود ..

***

لا داعـي لقـول تلـك الخرافـات - الدنيـا جميلـة - مازالـت دار شـقاء وسـتظل هكـذا مـا دمنـا أحيـاء ..

أكـره الدنيـا .. لم أعـرف يومـاً كيـف أعيـش فيها .. مواسـاتنا تلـك لمـن حولنـا لم تكـن إلا مواسـاة لأنفسـنا ... كلـما نظـن أننـا قـد وصلنـا بالفعـل نجـد أنفسـنا عنـد بدايـة طريـق آخـر مديـد.. لا تسـتطيع عينـي أن تـأتي بآخـره .. لأنظـر حـولي فـلا أجـد مـن كانـوا بجانبـي .. ننتظـر مـا لا يُنتظـر .. أيـن هـو زهـو الدنيـا وصفائهـا ونقائهـا الـذي أخبرتنـي عنـه ؟ أيـن إدعائـك إني سـأكون بخـير .. مـا زلـت أبكـي كل يـوم وكل ليلـة ..

أعتقـد أني كنـت المرحلـة الأصعـب في حياتـك لذلـك تخلصـت منـي ..

أتذكـرك.. أسـكت قليـلًا كـي افكـر أنطـق بأسـمك أم لا .. فيعجـز قلبـي عـن ذكـرك .. و تخوننـي يـداي وترسـمه في الهـواء ..

الحيـاة ثقيلـة جـداً عـلي.. لطالما رغبـت في أن أذهـب بعيـدًا عنهـا .. يـراودني ذلـك الحلـم كثـيراً أراه كل لحظـة.. نفـسي تلـك التائهـة ..

لم أعـد ألتمـس هـذا الحـزن الأليـم ولا حتـى تلـك الافـراح المبهجـة ..

كلها أيام رتيبة مملة تشبه بعضها..

ندخـل جميعًـا في مسـابقة الصـبر عـلى الألم الأشـد .. نزايـد الحـزن عـلى

بعضنا البعض ..

كلنـا نريـد أن نكـون البطـل الأجمـل في تلـك المسرحيـة الهابطـة .. ثـم نسـتعين بمـن حولنـا كـي يدعمونـا بأننـا حقـاً الأجمـل .. لسـعي سـاذج بـأن نـرى أنفسـنا صالحـين .

كرهـت هـذه الدنيـا .. توصـدت الأبـواب بداخـلي عـلى ذلـك الظـلام المعتـم والحـزن المتراكـم وتلـك الخيبـات .. الكثـير مـن الخيبـات يـا سـعود ..



سـألتني إن كنـت أتذكـر لـك شيء جميـل لأن كل مـا أذكـره لـك هـي الأشـياء السـيئة ..

أجبتك.. نسيتها يا سعود . نسيتها كلها..

كنـت تؤلمنـي وأجلـس لأبكـي.. فأتذكـر شيء جميـل فعلتـه لي مـن قبـل فأذهـب كـي أصالحـك..

مـرة بعـد مـرة وطيلـة هـذه السـنوات أذكـر كل شيء جميـل وأذهـب لأتحـدث معـك وكأنـك لم تخطـأ في حقـي ..

أنتهـت كل الاشـياء الجميلـة يـا سـعود فلـم يعـد هنـاك مـا يشـفع لـك ..

كل مـا أذكـره الآن هـو الحـزن.. لعـل الأشـياء السـيئة أتذكرهـا كلهـا وبعدهـا أنسـاك. .. أنـا بحاجـة إلى نسـيانك ..

أنـت تعـرف أني كـره اليـوم الـذي ولـدت فيـه .. ولكنـك لم تعـرف السـبب بعـد..

منـذ أن عرفتـك يـا سـعود وأنـا تتـوالى عليـا المصائـب وخاصـة في هـذا اليـوم بسـببك ..

لا أذكـر هـذا اليـوم إلا بالعـذاب الـذي شـهدته فيـه.. ماعدا أول وآخـر حفل ميـلاد لي..

في أول حفـل ميـلاد لي وأنـا معـك كان هاتفـي قـد كُـسر وعندمـا أتيـت بآخـر وجـدت منـك رسـالة صوتيـة تخـبرني فيهـا بمـدى حبـك لي .. كنـت تـود أن تقـضي معـي هـذا اليـوم .. قلـت لي يـوم ميـلاد سـعيد يـا حبـي ..

أحب هذه الكلمة بصدق.. حبي ..

آخـر حفـل ميـلاد لي معـك كنـت قـد أخبرتـك حينهـا أني أكـره هـذا اليـوم ..

لم تتركنـي يـا سـعود في ذلـك الوقـت.. لم تتركنـي هـذا اليـوم بأكملـه.. ترسـل لي الرسـائل .. تهاتفنـي... تتحـدث معـي كثـيرًا.. تطمئـن عليـا .. كنـت خائـف أكثـر منـي

كـم أكـره هـذا اليـوم حقـاً .. لـن أخـبرك بـما قـد حـدث في كل ذكـرى.. لم ولـن أخـبرك يـا سـعود..

هـذا العـذاب الـذي بداخـلي أصعـب مـن أن يُقـال .. عُذبت يـا سـعود.. لم أُرد أن أخـبرك حتـى لا تتـألم .. كنـت أخشـى عليـك مـن كل شيء .. ذات مـرة أخبرتنـي أنـك انهـرت مـن قصـة صديقتـك التـي اخبرتـك إياهـا.. اسـتمررت في الصمـود حتـى عـدت إلى منزلـك انهـرت مـن أجلهـا..

لمِّ لم تشعر بي هكذا يا سعود.. ألم أكن حبيبتك .. ؟!

لا أريدك أن تتألم .. أحتفظ بها داخلي..

أعتقـدت أنـك في يـوم مـن الأيـام سـوف تعوضنـي عـن كل شيء سيء حـدث

لم تزيدني إلا حزنًا .. حزناً فقط..

***

ذهبـت في رحلـة أنـا وصديقـاتي .. لم أكـن أنـوي الذهـاب في رحـلات مـن قبـل.. لم أكـن لأذهـب هـذه الرحلـة أيضـاً مـن أجلـك ..

لم أحجـز فيهـا ولكنـك تركتنـي وحـزني.. حتـي انسـحبت إحـدي صديقـاتي المقربـات مـن الرحلـة وأقترحـت عليـا أن أذهـب مكانهـا .. وقـد ذهبـت ..

كنت أنتظر أن تحدثني كي تطمئن عليا ..

يصبـح لـدي شـعور عـارم باحتياجـي لـك وأنـا على سـفر.. كلـما سـافرت أردت أن تسـأل عـلى حالي ولكنـك لم تفعـل أبدًا ..

أبكـي بصـوت خافـت حتـى لا يسـمعني أحـد... أردتـك بجانبـي ..

كنـت أمـشي في أسـوان وكان الجـو جميـلاً بـما يكفـي كـي أتذكـرك ..

وجـدت رجـلاً يبيـع الآلات الموسـيقية .. تذكـرت أنـك تريـد آلـة منهـم..

جمعـت كل نقـودي.. لم يكـن لـدي الكثـير مـن النقـود حينهـا فقـد أنفقتهـا كلهـا.. ولكـن ذهبـت كـي اشـتريها لـك.. واشـتريتها بالفعـل..

اشـتريتها وذهبـت كـي اجلـس عـلى النيـل .. جلسـت وحـدي أفكـر فيـك..

أردت أن أتصـل بـك كـي اطمئـن عليـك وأسـمع صوتـك.. في الحقيقـة أحتجـت لأن اطمئـن بك..

وبينـما أنـا ألتفـت كـي أخـرج الهاتـف مـن حقيبتـي وقعـت تلـك الآلـة في النيـل..

لقـد بكيـت وكأن ذلـك البحـر قـد امتـلأ بدموعـي .. أشـهق بصـوت عـال.. ليـت حـزني كان دمـع أبكيـه وانتهـى .. كل شيء في هـذه الدنيـا يريـدك أن تبتعـد عنـي .. أنظـر إليهـا وهـي تبتعـد وكأني أراك أنـت تبتعـد.. أنظـر إليهـا وكأني أرجوهـا ان تعـود ..

أطبطـب عـلى مـا بـين ضلوعـي.. لم تكـف عينـي عـن البـكاء.. ضـاق صـدري وأختنـق فـؤادي..

أغلقـت هاتفـي وعـدت إلى أصدقائـي.. كان قـد بـدا عليـا الحـزن المريـر..

سألوني إن كنت قد تكلمت معك.. فأخبرتهم لا..

بـدأوا في قـول كل مـا هـو سـاذج.. انسـيه كـما نسـيكي.. لابـد أن تهتمـي لحالـك.. وسـعادتك .. انظـري كـم مـن شـخص يتمناكـي .. قاطعتهـم إحـدى صديقـاتي قائلـة.. بـراءة لـن تتوقـف عـن حبهـا لسـعود ولـن تتخـلى عـن محاولاتهـا حتـى تـراه متـزوج بأخـرى .. حينهـا ستسـتريح..

لمسـت كلماتهـا قلبـي.. تركتهـم يتحدثـون عنـي و يعطـوني النصائـح وذهبـت إلى الشرفـة..

هـل يمكنـك الـزواج مـن غـيري ؟! .. أحقـاً يمكنـك أن تفكـر بامـرأة غـيري..

يـاه يـا سـعود.. جعلتنـي أطلـق عـلى نفسي امـرأة بـدلًا مـن أن أقـول فتاة..

فتـاة في الثالثـة والعـشرون مـن عمرهـا أثقلتهـا بالحـزن حتـى أطلقـت عـلى نفسـها امـرأة .. هـل تسـتطيع الـزواج مـن غـيري .. ؟!

مـا أغبـاني.. مـا زلـت أحبـك .. أشـتاق لـك كاشـتياقي هـذا الآن .. أشـتاق إلى سـماع صوتـك.. ولكـن كيـف ؟!

كيــف يمكننــي أتصــل بــك وأنــت قــد ابتعــدت عنــي وأخبرتنــي ألا أقــترب منــك ثانيــة...

كل شيء يريدك أن تبتعد عني لا أعرف لمَ

أخبرتنـي مـرة أنـك تكلمـت مـع إحـدي أسـاتذتك والتـي كانـت قريبـة منـك .. وقـد أخبرتـك أن تتركنـي..

لا أعـرف لمـاذا أخبرتـك بذلـك.. أو مـاذا أخبرتهـا أنـت كـي تقـول لك هـذا..

قلــت أنهــا قصــت عليــك الكثــير مــن القصــص والحــب فيهــا لم يكتمــل..

أخبرتـك كـي لا تتـألم فيـما بعـد يجـدر عليـك أن تتركنـي الآن .. ولقــد فعلت..

أين حبك أخبرني؟!

كل مـن حـولي يقولـوا أنـك لا تسـتحقني وحبـي، ويجـب أن أتـركك وأبتعـد عنـك..

ولكني لم أفعل.. لم أستمع .. لم أفكر حتى في كلامهم..

فقط أنا وأنت من يعلم أن حبنا عظيم..

أين ما فعلته من أجلي.. أين عظمة حبك .. ؟!

***

هـل تحتـاج إلى وقـت طويـل كـي تـدرك أنـك كسرتنـي دون جـبر ؟!

تشك بي كثيرًا ..

عـلى الرغـم أني وحتـي الآن لم أفعـل أي شيء يجعلـك تشـك بي أو حتـى تبتعـد عنـي ..

لطالما كان شكك مؤلماً..

مـرة مـن المـرات جعلتنـي أقـوم بتحميـل برنامـج عـلى هاتفـي يدعـي الخريطـة

كان هــذا البرنامــج عبــارة عــن خريطــة عندمــا أتحــرك يصلـك كل تحـركاتي .. يرسـل لـك البرنامـج أني قـد أنتقلـت..

كنـت اذا ذهبـت إلى آخـر البيـت ترسـل لي أيـن أنـتِ .. حتى تضمـن وجـودي في البيت ..

مشـكلة هـذا البرنامـج أنـه لابـد أن يتـم تحديثـه كل فـترة حتـى يسـتطيع أن يسـجل التحـركات الجديـدة.. لذلـك أمرتنـي

أن أفتـح هـذا البرنامـج كل سـاعة لأقـوم بتحديثـه حتـى لا يتوقـف عـن رصـد الحـركات ويرسـل لـك رسـالة بالتحديـث الحـالي للمـكان الموجـود فيـه ..

في يـوم الاربعـاء اذكـر اليـوم جيـداً .. كنـت مصابـة بالأنفلونـزا وأنـت تعـرف كـم تتعبنـي...

بالإضافـة إلى أن الأدويـة تجعلنـي هامـدة .. و قـد نمـت حـوالي ثـمان سـاعات..

اتصلت..: ماذا تفعلي ؟

- متعبة ونائمة يا سعود

- لمـاذا لم تقومـي بتحديـث البرنامـج كل سـاعة كـما أخبرتك من قبـل..

- مصابـة بالبرد والادوية سـببت لي النعاس لم أشـعر.. أقسـم لـك أني ضبـط المنبه كي أسـتيقظ كل سـاعة ولكني لم أشـعر به ..

- وما الذي يثبت أنك نائمة ولستِ في مكان آخر ..

- شغل البرنامج يا سعود أنا لم أتحرك من مكاني

- قلـت لـك كل سـاعة يـا بـراءة .. كل سـاعة.. مـا الـشيء الغـير مفهـوم في كلامـي.. لم تسـتمعِ لي أبـدًا.. قـد سـئمتك و سـئمت كل شيء تفعليـه..

وأنهيت الاتصال يا سعود، تريدني أستيقظ كل ساعة وأنا متعبة كي أحدث البرنامج وأعاود النوم مرة أخرى.. لم تكن لدي مشكلة في ذلك وأنا متعافية، ولكني متعبة... متعبة ولم أشعر بالمنبه فماذا أفعل ..

لمَ لا تنتهي من شكك أبدًا .

كنت أجلس في غرفتي فإذا بك تتصل .. أنتي تخونيني..

- كيف أخونك يا سعود

- اعترفي بما قد فعلتِ

- لم أفعل شيء صدقني.. بالله عليك كفي.

- قولت لكِ أخبريني وإلا تركتك..

- أخبرتك أني لم أفعل شيء .. لم أفعل ..

- أعطيني إذًا الرقم السري الخاص بصفحتك على الفيس بوك

أعطيتك إياه .. رقمي السري كان عبارة عن اسمك .. فكيف أخونك؟

لم تفتح الصفحة معك حينها ولكن بعد أيام راسلتني قائلاً ..

صديقــي كان مريــض.. وأرســلت قريبتــه التــي تكــبره بخمــس ســنوات تســأله عــن صحتــه ..

وأرسلت له بعض القلوب ..

علمـت جيـداً أنـك تقصـدني أنـا .. لم تكـن لديـك القـدرة عـلى اختـلاق القصـص للتشـبيه.. أنـا أعرفـك جيـداً ..

أخبرتـك بالتأكيـد لا تحبـه كالحـب الـذي بيننـا .. وإنـما هـو قريبهـا وأصغـر منهـا ترسـل لـه للتعبـير عـن المحبـة الأخويـة.

قـد كان ابـن عمتـي مريضًـا وقـد خـرج للتـو مـن غرفـة العمليـات .. هـو يسـكن بعيـداً عنـا في بلـد أخـرى.. أرسـلت لـه كـي اطمئـن عليـه وقـد كان يصغـرني بخمـس سـنوات.

أهنتنـي حينهـا.. تركتنـي أبكـي وقلـت لي ألا أرسـل لـك هـذه القلـوب أبـدًا

حتى لا تتذكر هذا الموقف ..

أرهقني حبك يا رجل..

***

مـا في قلبـي لا اسـتطيع البـوح بـه.. مخبـأ تحـت تلك الوحشـة التـي بداخـلي.. لتنعكـس بضحكـة مزيفة ..

ألم ترى ذلك الانطفاء في عيني.. أو تلك الحماسة والبراءة والأمل .

أولئك من كانوا يغرقون في دمائهم يستنجدون بك وأنت لا تبالي..

أنطفأ إيماني بكل شيء كنت أؤمن به.. أشعر وكأن شيء ما فقد مني.. أظن أنها روحي .. فلم أعد أشعر بفرح في حياتي.. استمررت في إخفاء ذاك الحزن والأحلام كعورات لا بد لها ألا تنكشف.. أقنعتك بثغر مبتسم عن ابتسامة باكية أني كنت غير مبالية عندما رأيتني..

ما زلت ترحل تاركني و شأني وحزني وذنبي لأبكي معهم ..

أصرخ ولكنك لم تسمعني ابداً .. قلبي يعتصر ألماً .. كنت في كثير من الأحيان أود الافصاح عما بداخلي.. لكنك أقنعتني أنه لجُرم بحقك كشف ما بقلبي لأنك لن تستطيع إزاحة ذاك الشوك الذي يؤلمه..

ذلك الألم المتعالي بين ضلوعي وذلك الثقل الشديد على صدري ..

لم أعد أعرف كيف أحتمل..

مـن أيـن لنـا بأنـاس يجعلونـا نتوهـج فرحـاً كتوهجـي في بدايتـي معـك..

مـن أيـن لنـا بأنـاس ينفضـون عنـا سـواد الحـزن كالسـواد الـذي خلفتـه لي مـن بعـدك ..

مـن أيـن لي أن آأتي بابتسـامة بريئـة لم أعـد أذكرهـا لأنهـا رحلـت مـع الـبراءة التـي سـلبتني إياهـا وذهـب كل جميـل بذهابهـا ..

***

بعـد أربعـة أعـوام مـن بقاءنـا معـاً وفي ذات مـرة قلـت لا بـد مـن إنهـاء العلاقـة الآن ..

صمدت طيلة شهر كامل لا أبكي لا أشتكي لا أتألم ..

أشـتاق لـك أحيانًـا وكنـت أراك في الطريـق سـعيدًا أحيانًـا.. أعتقـد أنـك سـعيدًا جـدًا بـدوني..

ولكنـي أصبحـت بعدهـا حزينـة.. شـهر آخـر وقـد أنهـرت أخـيرًا..

لم أكـن أسـتطيع أن أصمـد أطـول مـن هـذه المـدة .. شـعرت بـأن رأسي ينبـض بشـدة وإذا بأنفـي تنـزف كثـيرًا..

ذهبت إلى الطبيب فقد أصبحت أعاني من انخفاض الضغط والسكر.

أمرضني حبك يا حبيبي .. أمرضني و أرهقني وأحزنني..

ما زلت أحبك.. أتألم لألمك وأشعر بك إن حدث لك شيء ما..

أشعر الآن بأنك حزين.. كيف تحزن وأنت مع فتاة أخرى غيري.

فتاة قد اخترتها بكامل إرادتك.. كيف أصبحت مع غيري الآن..

ظننت أننا خلقنا لبعضنا.. أنا وأنت فقط..

***

شعرت بألم شديد في قلبي اليوم.. أردت أن أعرف أخبارك فأردت أن أفتح صفحتك على الفيس بوك.. ولكنني وجدت أنك قد حذفت حسابك..

اتصلت بك .. فعرفت أن هناك خطب ما أصابك.. ومازلت لا تحب أن تشتكي أو تتكلم..

تأكدت أنك كنت تكذب عليا عندما أخبرتني أنك تحب فتاة أخرى وأنك ارتبط بها..

تأكـدت أنـك كنـت تكـذب عليـا.. لم تحـب.. أنـت فقـط لا تريـدني في حياتـك..

ذنب أعظم من ذنب ..

لم أرتـاح يـا سـعود.. كانـت أسـئلتك لي مؤلمـة جـداً .. سـألتني إن تحدثنـا سـويا وأصبحنـا اصدقـاء عندمـا تتزوجـي هـل ستسـتمري في صداقتـي وتحدثينـي..

أردت أن أخبرك أني لن أتزوج بغيرك..

إن لم أتزوجـك لـن أتـزوج غـيرك ولكنـك تحـب الإجابـة عـلى أسـئلتك بـما هـو متـاح مـن إجابـة.. نعـم أو لا..

لم أعـرف حينهـا بأيهـما اجيـب.. فأخبرتـك نعـم سـتظل صديقـي..

وبصمت.. لن أتزوج بغيرك..

تؤلمني طريقتك في الكلام معي..

أثنـاء حديثنـا بالمراسـلة قلـت اسـمًا غـير اسـمي .. لم أعـير هـذه الرسـالة انتباهًـا.. ولكـن شـعرت بسـهم تغرسـه في قلبـي.. تألمـت.. توقـف قلبـي عـن النبـض للحظـات.. ليتـه حلـم وغـدًا سـأفيق أجـدك تحبنـي وإلى جانبـي..

أخبرتني أنه خطأ من لوحة المفاتيح ....

تحدثها كثيرًا إذًا.. صديقتك على ما أظن.. أم ماذا ؟!

لمَ يا سعود .. لمَ تُحدثها..

أنا التي أشعر بك بحزنك وغضبك .. أشعر بقلبك عندما تتألم .. لمَ تؤلمني..

في نهاية حديثنا وبعد موافقتك على أن نتحدث.. فلم أكن أريد سوى أن أكون معك حتى لا أشعر بآلامك.. لم أكن أنوي أن أتحدث معك كيفما كنت أحدثك في السابق.. فقط رسائل قصيرة على أبعاد طويلة..

أرسلت لي رسالة أوجعتني..

انظري يا براءة .. أنا لا أعرف لماذا وافقت على أن أتحدث معك. احتمال كبير لأني أريد أن اتسلى .. غالبًا لا أريد منك صداع قبل أن أنام وأريدك أن تعرفي جيداً.. لو ضايقتيني بأي شيء مهما كان

صغيراً سأغلق عليك كل الطرق الممكنة كي لا تتصلي بي ثانية.. ولن أقبل الحديث معك مهما كان..

كلامك مؤلمًا يا سعود.. وما قبله يؤلم أكثر، وأعلم أن ما بعده سيؤلمني وسيؤلمني..

لماذا أفعل هذا بنفسي.. لا أعلم ؟!

سألتني من أخبركِ أنك مسئولة عني يا براءة ..

دائـماً لا أعـرف كيـف أُجيـب عليـك.. كل مـا أفعلـه هـو تنفيـذ لأوامـر قلبـي.. هـل سـتفهمني إن اخبرتـك بذلـك ؟!

قلبي أخبرني بهذا منذ لحظة وجودك فيه ..

أحبـك يـا سـعود مـا زلـت لا تـدري .. كيـف تعذبنـي هكـذا.. كلامـك قاتـل يـا سـعود ..

مـا هـذا الحـب الـذي أكنـه لـك !.. كيـف لشـخص أن يحب بهـذه الطريقة..

أخبرتنـي عنـد زواجـك لـن تخـون زوجتـك أبـدًا يـا سـعود .. لـن تخونهـا معـي أبـدًا مهـما كان بيننـا.

أتحب أن تراني أموت وجعًا بهذه الطريقة..

تحب أن تراني أنزف.. لذلك تفعل هذا بي..

كـم مـرة تريـد أن تـأتي بذلـك السـكين وتضعـه في قلبـي .. كـم مـرة تريـد أن تجعلنـي أعـاني هكـذا.. كـم مـرة أخـبرني..

ماذا فعلت كي يحدث لي كل هذا .. لماذا لم تعد تحبني..

لا أذكـر أني فعلـت شيء يجعلـك تكرهنـي.. لم أخنـك لم أفعل شيء خطـأ لم أفعـل أي شيء .. لطالمـا أردت رضاك..

أنـت سريـع الغضـب يـا سـعود .. تغضـب منـي كثـيراً .. تغضـب مـن أشـياء صغـيرة .. نعتنـي بكاذبـة لأشـياء أتفـه مـن أن تجعـل منـي كاذبـة .

أمرتنـي سـابقًا ألا أرد عـلى بـاب بيتنـا عندمـا يُطـرق وأجعل شـخص آخـر في البيـت يفتحه ..

ذات مـرة كانـت أمـي مريضـة ولا يوجـد غـيري.. وطُـرق البـاب ..

قل لي أنت، ماذا افعل؟! ..

قـل لي بـالله عليـك .. أجعـل امـي تقـوم مـن فراشـها كـي تفتـح البـاب أم مـاذا..

أوامرك غربية يا سعود و تحكماتك صعبة ..

وإذا بك تسألني، من الذي فتح الباب اليوم..

أخبرتـك أنـا.. فأغلقـت المكالمـة في وجهـي و أبتعـدت عنـي أربعـة أيـام دون أن تسـأل عنـي.. أو حتـى تعطينـي فرصـة كـي أتحـدث معـك..

أبكيتني لسبب تافه يا سعود ..

تكـرر الموقـف مـرات أخـرى .. وكنـت إذا سـألتني أُخـبرك أنـه لم تكـن أنـا

ومـن هنـا جعلـت منـي كاذبـة.. جعلـت منـي كاذبـة في كل شيء ..

بدأت تُكذبني في أشياء لن أكذب فيها أبدًا...

عندمـا أخبرتنـي أنـك لا تحـب الكـذب في بدايتنـا معـاً.. لم أهتـم لأني حقًـا كنـت أكـره الكـذب.. لا شيء يجعلنـي أكـذب..

لمَ جعلـت منـي كاذبـة .. لم أكـن أكـذب مـن قبلـك أبـداً مهـما حـدث..

بحقك ما الذي فعلته بي ..

بعـد رسـالتك تلـك يـا سـعود وفي اليـوم التـالي حلمـت بكابـوس ..

كنـت في مـكان مـا بعيـد عنـي.. وأنـا حـولي الكثـير مـن الوحـوش ..

كنـت تريـدني أن اذهـب إليـك كـما آمرتنـي رغـم حاجتـي إليـك.. اتصلـت لتخـبرني بضجـر شـديد ألا أتأخـر عليـك. أخبرتـك لا اسـتطيع .. أريـدك إلى جانبـي.. أنـا خائفـة .. واسـتيقظت

استيقظت اليوم ولا أشعر بالراحة..

كنــت قــد أرســلت لــك برســالة قبــل أن أنــام أن تفعــل بعـض الأشـياء حتـى يمكننـي أن أجعلـك تتخلـص وتتخطـى هـذا الضيـق الـذي أنـت فيـه..

ومـضى الكثـير مـن السـاعات رغـم أنـك قـد رأيت الرسـالة بالفعـل ولكنـك لم تجب..

ودارت بيننا هذه المحادثة:

- ماذا تفعلين؟!

- أكتبُ مقال

- لماذا لا تراسليني ؟

- كنت منتظرة ردك على آخر رسالة أرسلتها لك ..

- براءة افصلي اتصالك بالأنترنت و اتصلي بي

اتصلت بك وأنا في غاية الخوف ..

تخيفني.. جسدي يرتعش..

سألتني بغضب شديد وقسوة عارمة:

- إن طلبت منك أي شيء ستفعلينه أم لا

- إن كنت أستطيع سأفعله ..

- ولـذا لم تفعليـه يـا بـراءة يحـق لي ألا أراسـلك مـرة أخـرى ولـن نتحـدث مـرة اخـرى وليـس لـكِ حـق في الاعـتراض

- قلت لك إن استطعت سأفعله

كان قلبـي ينتفـض وجسـدي يرتعـش أخـاف منـك كثـيرا و بـدأ صـوتي يصبـح مهـزوزًا ..

- أتبكين ؟!

- لا ولكني خائفة ..

ومـرة أخـرى ويعيـد التاريـخ نفسـه وأنـا كـما أنـا غبيـة أفعل مـا تريـده دون مناقشـة .

- أعطينـي الرقـم الـسري الخاص بصفحتك عـلى الفيس بوك

مرة أخرى بنفس الرعب والخوف والضيق ..

بعدهـا بسـاعات اتصلـت بي كي أعـاود اتصـالي بالانترنت ..

لم أخونـك أبـدًا أنـا أحبـك.. أيـما امـرأة أحبـت أخلصـت وأكتفـت

لم أكن فاعلة أي شيء يجعلك تتخلى عني..

لربما أردت أن تتأكد أني ما زلت مخلصة لك ..

أم أنك تحاول أن تجد شيء حتى تتركني بسببه ..

لا أعلـم مـاذا فعلـت ولكنـك بالتأكيـد قـرأت رسـائلي مـع أصدقائــي ..

سـألتك هـل سـتقوم بعمـل حظـر لي كـي لا اتحـدث معـك مـرة أخـرى..

- نعم يا براءة سأفعل..

لماذا ؟

- تعرفي من البداية أني سأفعل

- أوجـدت شيء أحزنـك .. اخـبرني قـد يكـون هنـاك سـوء تفاهـم ..

- وبعد أن نحله يا براءة ماذا سنفعل ؟!

- ولكنـك قلـت لي إذا اعطيتـك الرقـم الـسري لـن تتركنـي .. وقـد أعطيتـك

- بـراءة.. إنـك تجعلينـي أكـره نفـسي.. تجعـلي مني شـخص تخـلى عنـكِ ولم يُقـدر السـنين والوقـت الجميـل الـذي قضينـاه سـويًا ..

أخبرتنـي أنـك سـتغلق وسـنتحدث في وقـت لاحـق عندمـا تهـدأ

كتبت لك رسالة منذ عامان ولكنها لم تصلك..

كتبت لك فيها ..

أكتبُ إليك وأنا حبيسة هذا السجن الذي وضعتني فيه ولكني لا أعرف لماذا لم أكرهك بعد ..

أتسمع عن ذلك الغريق الذي تعلق بقشة .. أنا رأيتك سفينة . .

كنت دائمًا تصبرني على الحياة ولو بمجرد التفهم

كنت تمد إلي يدك دائمًا بدون مقابل .. كنت أحتاجك.. لقد عاقبتني ..

ألم يكفيك ..

لقد عاقبتني بهجرك ولم تأتِ بعد...

أكره هذا السجن الذي لا أسمع فيه إلا صوتي .. أكره نفسي وأنا أبحث عما اقترفته وأنا لا أدري..

أكره هذه الوحدة التي تقتلني بخنقها إياي..

أكره عالمي الافتراضي الذي أصنعه في غيابك ..

لقد عانيت وحدي.. أحتاجك إلى جانبي الآن... أشعر بالبرد الشديد والصداع تملك رأسي..

أنـا أجبـن مـن أن أتحمـل هـذه الوحـدة وذلـك الظـلام الـذي جعلتنـي فيـه..

تعلقي بك يطغي على كل شيء ..

هـل يمكنـك مسـامحتي عـلى الـشيء الـذي لم أفعلـه وأغضبـك منـي..

أعـدك أني سـأخبرك أني فعلـت كل شيء قـد أنكـرت فعلـه لأني صدقًـا لم أفعلـه.. ولكـن أعـدك أني سـأعترف بـه ولـن أنكـره .. ولكـن مـن فضلـك عـد إلي فأنـا بحاجتـك..

***

أليـس كل مـا تفعلـه الآن يـا سـعود كنـت تخـاف منـه بالأمـس.. أمازلـت تُـصرف تفكـيرك عنـه حتـى لا تتذكرهـا..

ثم أنك تنسى كل شيء إلا هو.

إنه حدث . حدث ما كنت تخشاه ..

بـل حـدث أسـوأ ممـا كنـت تعتقـد . تغـيرت يـا سـعود.. أراك دائـمًا مستسـلماً .. أتظـن الاستسـلام حـل لهـذا..

أتظـن بأنـك ستتجاهله فيتجاهلـك.. ثـم إن الهمـوم لا تُحـل بالتغافـل عنهـا.. أعـرف جيـدًا أن مـا بـك أصعـب مـن أن يُقـال.

أعرف لماذا لم تشتكِ أبداً..

ولكنـك لم تجـرب يومـاً أن تشـتكي لي.. أتتذكـر ذلـك الحلـم الـذي حلمتـه مـن أجلـك .. كان هنـاك جبـل يسـقط عليـك وأقـوم أنـا بإزالتـه حجـر فحجـر..

حتـى إذا انتهيـت وكـدت أن ألمـس يـدك.. سـقط عليـك آخـر.. أسـقط؟

أعتقد أنه مازال الجبل الأضخم بعيدًا عنك..

كنـت أعتقـد أني سـأظل بجانبـك.. كنـت أحسـب اني سـأكون سـببًا في تطييـب جراحـك.. ولكـن انظـر إلي الآن.. انظـر إلى تلـك الجـراح التـي سـببتها لي..

انظـر إلى حالتـي الآن.. أشـبه بالمدمنـين.. نعم فقـد أدمنتك ..

إلهي.. ما هذا الحب..

أموت وجعاً يا الله ..

***

أعـرف جيـداً أنـك متعـب.. متعـب لأنـك تحيـد عـن الطريـق المسـتقيم. عـن الهـدف الـذي أوجـدك الله مـن أجلـه. تتبـع الهـوى وتستسـلم لأمـور في الأصـل لا قيمـة لهـا..

تنبهـر بـما تـرى فيخطـر عـلى بالـك.. أن مـاذا سـيحدث إذا فعلتـه أنـا .. ؟

شـقيت وأشـقيتني يـا سـعود .. ومازلـت منشـغل بأمـور قيمتهـا صغـيرة جـدًا ولا تسـتحق كل هـذا الهـم الـذي تحملـه..

منشـغل في تلـك الدنيـا التـي وجـدت نفسـك فيهـا.. تـرى أحيانًـا أنـك لسـت منهـم وأحيانًـا أسـوأ منهـم.

ما زلت تبحث عن أشياء خاطئة

وتعيش عمرك كله موهومًا.. وكل موهوم مهموم.

خنتني يا سعود .. خنت احساسي ومشاعري وقلبي .

صدق فاروق جويدة عندما قال:

لم أكن أعرف شيئًا في سراديب العيون

كان في عينك شيئًا لا يخون.. لست أدري كيف خان..

***

سـئمت كل شيء.. أنـا عاجـزة تمامـاً عـن فتـح عينـي مـن شـدة الارهـاق وعـن إخمـاد عقـلي مـن كثـرة التفكـير .. معلقـة في تلـك الحالـة التـي أكرههـا ولا أعـرف سـبيلًا للخـروج منهـا.

لا أعلم لمَ عليا القول دائماً أني بخير..

لست بخير.. أنا لم أُخلق بقلب من حجر لكن الله يعلم أن هذه القوة التي تراني بها لم تكن امراً سهلًا كما تتخيله.

أعتقد أحيانًا أني كئيبة أحب العزلة والابتعاد عن الناس .

متعبة.. متعبة من كل شيء حتي الأصوات ثقيلة على أذني..

أعلم بأني لا أطاق وإن لا شيء يدهشني .. أعرف كم أنا صعبة الانبهار.. ولكن صدقني أنا سهلة الارضاء..

تسيطر علي دائرة الخيبات .. أشعر بأني تمثال لا روح به ولا قلب.

أفقد قدرتي علي الشعور بمن حولي .

مت كثيرًا ومازال الموت لا ينتهي مني ..

ألت من الوجع أضعاف مضاعفة .. ومازلت أتوجع ..

وها قد فاق الوجع قدرتي على التحمل.. فهل لي من نهاية ..

هل يمكن لذلك الوجع بأن يتوقف ..

دائمًا كنت تعاملني على أني ذلك الكلب الوفي يا سعود

تعود متى شئت لتجدني في انتظارك..

ياه لخيبتي .. ياه لحبي و لإرهاقي لنفسي

أنـت لا تعلـم كيـف أحبـك.. لا تعـرف شـيئًا عـما يحـدث لي مـن خيبـات ومـدى خيانتـك لقلبـي ومازلـت أحبـك..

لا تعرف شيء صدقني ..

مـن أيـن لـك هـذه الأنانيـة يـا سـعود.. لم تكـن هكـذا مـن قبـل... كيـف كرهتنـي إلى هـذا الحـد ..

***

كبلتني بالصمت..

حتى ماتت الكلمات في فمي..

قيدتني...

حتى ظننت بأن هذا القيد يسكن معصمي..

وقتلتني..

حتـى ظننـت بـأن قتـل النفـس في الأديـان غـير محـرم.. « فـاروق جويـدة»

أحيانًـا أشـعر بأنـك كالصنـم لا تحـاول إنقـاذ علاقتنـا .. في حـين أني أبـذل قصـارى جهـدي كـي أرمـم مـا يُخـدش فيهـا..

ألا يستحق ما بذلته من جهد أن تكون لي في النهاية؟

ألست الأجدر بك..؟؛

هل من حولك يفهمون صمتك كما كنت أفعل أنا!!

هل أنت بخير الآن يا سعود ؟

هل تشعر بالراحة بدوني ؟!

فعلــت كل مــا بوســعي لتبقــى علاقتنــا قويــة كــما كانــت .. تحملتــك كثــيراً ..

كلــما أحتجتنــي بجــوارك .. كنــت حتــى وأنــا في أمــس الحاجــة لمــن يهــون عليــا أحــزاني..

أنــا جبانــة وقــد أصبحــت ضعيفــة .. استســلمت أو ربــما أحــاول ولكــن ببــطء

أنــا خجلــة مــن نفــسي .. لا أحــد يعلــم مــدى خجــلي الآن مــع كل حــرف أكتبــه ومــع كل دمعــة لا أرى فيهــا غــير أحلامــي التــي طالمــا انتظرتهــا وأنــا حزينة و يرتســم عــلى وجهي التســاؤل وصدقًــا لم أعتــد عــلى وجهــي هكــذا..

أخشى ذلك الخوف الذي بداخلي...

أخشى أن اقف في الوقت الذي لابد فيه أن أمضي ..

أو أمضي في الوقت الذي كان يجب فيه أن أقف..

أبـذل الكثـير مـن الجهـد وأعتـصر قلبـي وروحـي لأظهـر بهـذا الوجـه السـخيف المبتسـم..

كلـما حاولـت أن أقـاوم.. كلـما أشـتد الـشيء الـذي أقاومـه ضراوة وتعلقًـا فيـني..

وإن ما أقاومه لا يتركني أبدًا ..

أرهقنـي السـير دون جـدوى .. أبحـث عـن الأمـل في شـتى البقـاع.. أريـد ولـو طريقًـا واحـدًا يخبرني أني مـا زلـت بخـير.. إنـه يوجـد ولـو جـزءًا واحـدًا في روحـي لم يُقتـل بعـد ..

إني ما زلت على قيد الحياة .. مازلت أتنفس ...

أريد أن أتنفس.. حتى التمني أرهقني.. أرهقني وبشدة.

جـف الصـبر في عروقـي فـما عـدت أحتمـل.. أشـعر بالضيق الشـديد كـوني أردتـك تُشـفق علي ..

أردتك أن تشعر بمدى حزني الشديد كي تعود إلي ...

يا لحماقتي.. أنا حقًا غبية ..

مـا أسـوأ شـعور أن شـخص مـا يشـفق عـلي .. ولكـن.. كنـت أخـاف أن أخـسرك.

***

وبكيــت كأني لا أبكــي بــل أذوب دفعــة واحــدة وأمطــر
«محمــود درويــش»

المقابلة الثانية لنا كانت في الحديقة المقابلة لجامعتك...

جلســنا ســويًا والحــب يغمــر كلانــا.. طلبــت لي طعامًــا لأنــك شــعرت أني أتضــور جوعــاً..

وبالتأكيــد لم نكــن عــلى تواصــل مــن قبلهــا.. لأنــك في الطبيعــي تغضــب كثــيرًا..

جلســنا نــأكل ســويًا.. كنــا ننظ إلى بعضنــا بصمت وابتســامة لطيفة..

سألتني.. ماذا ستفعلين إن لم نتزوج..

- لن أتزوج غيرك..

- وماذا أفعل إذا رفض والدي هذا الزواج..

لا تفعل شيء يا سعود .. وبكيـت.. وبكاء قلبي كان أعظم..

أدرت وجهــي إلى الجانــب الآخــر .. وضعــت رأســك عــلى المنضــدة وقــد قبلــت ذراعــي..

أعــرف أن حبــك وعاطفتــك همــا مــن جعــلاك تقبــل ذراعــي..

شـعرت بأنـك تتـألم أيضـاً فتوقفـت عـن البـكاء سريعًـا وأشرت إلى إحـدى التماثيـل حولنـا وسـألتك عنهـا..

حدثتنـي عنـه ولكنـي لا أذكـر مـاذا قلـت لم أكـن في وعيـي .. كنـت أريـد قلبـي أن يتوقـف عـن بـكاءه..

ثـم أكملنـا حديثنـا .. كنـت تسـخر منـي كثـيراً .. وكنـت أضحـك أكثـر..

أثنـاء سـيرنا للعـودة كان هنـاك الكثـير مـن الألعـاب .. قلـت لـك أريـد أن أذهـب .. ضربتنـي عـلى جبهتـي ممازحًـا هـل أتيـت بإبنـة أخـي كـي أنزههـا

أطفلة أنتِ..

نعم يا سعود أنا طفلة، متعلقة بك..

منـذ أن فتحـت عينـي عـلى الدنيـا وجدتـك .. تخـبرني دومًـا بـما أفعـل وبـما لا أفعـل..

أنت من كان يختار لي ملابسي وأكلي وحتى شربي..

تيقظنـي يوميًـا كـي أصـلي الفجـر.. كنـت لي كل شيء في هـذه الدنيـا..

لم أكن لأتحرك خطوة واحدة إلا بإذنك..

صدقني لم أكن أفكر في أي شيء سوى أن أبقى إلى جانبك، ما أخافه من الغد.. سأتركه للغد .. ولكني أريد أن أعيش اليوم معك..

أنت لا تفهم هذا أبدًا.. تقدر الأحداث.. تفكر فيما يحدث وفيما سيحدث..

تفكر في كل شيء.. تضع خطط لأعوام مقبلة ..

كنت أريدك معي اليوم.. والغد كنت سأقول لك دعني أكون معك اليوم.

***

أسوأ شيء حدث بيننا.. والذي من بعده قررت بأن تتخلى عني.. وبعدها بفترات قلت فلنصبح أصدقاء..

ذلك اليوم الذي ذهبت به إلى حفل زفاف صديقتي..

كنت قبلها قد ابتعدت عني بسبب برنامج الخريطة الذي لم أحدثها بسبب مرضي..

تركتني أسبوعًا كاملًا ثم اتصلت بي .. كان هذا اليوم.. الأربعاء أيضاً..

أشعر بأن هذا اليوم هو يوم تعاستي..

وكانـت هـذه الليلـة هـي ليلـة تجمـع الفتيـات في منـزل العـروس قبـل حفـل الزفـاف.. ولابـد أن نتجمـع سـوياً كـي نفـرح معهـا..

كنـت عـلي وشـك الانتهـاء مـن إرتـداء ملابـسي فـإذا بـك تتصـل بي

- براءة .. كيف حالك ..

- بخير الحمد لله

- أخبرينـي يـا بـراءة إن كان هنـاك شيء تريـدي قولـه .. أخبرينـي بـأي شيء تريـدي أن تفعليـه ..

- نعم يا سعود بالفعل أريد أن أقول شيء ..

- ها ماذا تريدي ؟

- اليـوم هـو يـوم تجمـع الفتيـات في منـزل صديقتـي لأنهـا سـتتزوج وأريـد

أن أفرح معها..

- لا يا براءة لن تذهبي ..

- مـن فضلـك يـا سـعود مـن فضلـك أرجـوك.. أنـا أخبرتـك كـما أردت .. دعنـي اذهـب

- لا لن تذهبي .. لماذا تريدي أن تذهبي ؟

أريـد أن أفـرح مـع صديقـاتي يـا سـعود أن أقـف إلى جانـب صديقتـي وأكـون لجوارهـا.. دعنـي أفـرح بفرحتهـا أرجـوك..

اتركيني أفكر .. أخبريني الآن ماذا تفعلي..

- أنا أقف في شرفة غرفتي..

ألم أخبرك من قبل ألا تقفي في الشرفة ابداً ..

قلـت كلماتـك هـذه وأغلقـت في وجهـي ومنعتنـي مـن أن أتصـل بـك مـرة أخـرى..

سـاعة كاملـة وأنـا أحـاول الاتصـال بـك وصديقـاتي في انتظـاري .. يتصلـون بي كل دقيقـة.. لأني كنـت قـد أخبرتهـم أني سـأذهب..

كنـت أقـف في الشرفـة كـي أسـتطيع أن أتحـدث معـك بعيـدًا حتـى لا يسـمعني أحـد ..

كان البيـت مـلء بالنـاس في هـذا الوقـت ولم أجـد مـكان غـيره كـي أرد عليـك.. كـما تعلـم لا أحـب أن أتـركك تتصـل بي ولا أرد عليـك.. فقـد كنـت أخجـل كثـيرًا مـن فعـل شيء كهـذا

أنـت تفعـل معـي هـذا الموقـف كثـيرًا يـا سـعود ... قبـل أن تقـول اتركينـي

افكر سألتني أنا أم صديقتك ..

وقـد أخبرتـك مـراراً ألا تقـارن نفسـك بأحـد. لا تقـارن نفسـك يـا سـعود .. أنـت أعظـم مـن ذلـك.. ولكنهـا صديقتـي ولهـا حقـوق عليـا.. كانـت تريـدني بجانبهـا.. فكيـف لـك أن تفعـل هـذا ..

جـاءوا صديقـاتي إلى البيـت يصطحبـوني معهـم إلى الحفـل.. وأنـت قـد حظرتنـي مـن أن أتصـل بـك.. وقـد بكيـت..

ولكني لم أستطع ألا اذهب وقد ذهبت معهن..

عندما عدت وجدت منك خمس مكالمات ..

سألتني: ذهبتِ ؟!

- لا لم أذهب
- أخبريني إذًا لماذا لم تردِ عليا..
- كنت في المطبخ ..
- براءة.. أعيد عليك السؤال مرة أخرى.. ذهبتي ..
- نعم يا سعود ذهبت ..

أغلقـت في وجهـي ولم تحدثنـي بعدهـا لمـدة سـتة أشـهر.. حتـى اتصلـت بـك .. وحينهـا قلـت لي ..

لـو كنـتِ آخـر امـرأة في العـالم لـن أتزوجـك.. أثنـاء هـذه المكالمـة كنـت في الجامعـة ..

رأوا صديقـاتي مظهـري.. عرفـوا إني كنـت أبكـي.. أخبرتهـم إني سـمعت مزحـة فضحكـت حتـى البـكاء.. لم يصدقـاني بالطبـع ..

ولكنهم لم يسألوا مرة أخرى ..

ذهبـت كـي أجلـس في مـكان وحـدي .. جلسـت أفكـر .. هـل أنـا مذنبـة.. هـل آثمـت كـي يقـول هكـذا .. مـاذا أفعـل يـا إلهـي..

ليتني لم أذهب ولكن هي صديقتي ..

لمـاذا يفعـل معـي هكـذا .. لمَ تضعنـي في حـرب مـع نفـسي دائـمًا يـا سـعود..

لمَ تريدني دومًا أن أؤنب نفسي ..

كان فرح صديقتي في الواحد من شهر أكتوبر عام ٢٠١٦

***

أعــرف جيــدًا بأنــك عندمــا تريــد أن تنســاني ستنســاني وكأنــك لم تقابلنــي قــط .. حتــى وإن كانــت روحــك بي .. أو كان قلبــك بــين ضلوعــي أو لا تســطيع العيــش بــدوني..

حتـى وإن كنـت تتـألم لفراقـي .. سـتقتل قلبك كي تنسـاني ..

سـتفعل أي شيء لكـي تنسـاني .. سـتراوض نفسـك كثـيراً وقلبـك أكثـر

أنـت مـن أخـبرني بهـذا يـا سـعود .. كـما أخبرتنـي مـن قبـل أنـك ستسـتطيع

أن تذبحني ..

ذبحتني يا سعود ..

تركتنــي غارقــة في دمائــي وقلبــي يبكــي بــين ضلوعــي و ذهبــت...

أأنت مسرور الآن؟!

كل كلماتــك التــي قلتهــا لي صادقــة.. إلا أنــك ســتظل بجانبــي..

كل كلماتــك صادقــة .. ذبحــك لي.. نســياني إذا أردت .. هجــرك عندمــا تريــد ..

تركتني أعاني بدونك وأنت تعلم أنك كل شيء ..

كنت أثق بك لأنك لا تتراجع في كلامك.. فحينما أخبرتني إنك ستبقى معي إلى الأبد برمجت قلبي وعقلي على هذا .. سلمت لذلك..

لذلك لا أستطيع أن أتخيل .. مجرد التخيل إني أجلس الآن بدونك..

كم أنت غريب يا سعود...

تتألم بسبب حرف أو كلمة قد يُكتبوا خطأ أو يقالوا بدون قصد وتُجرح بسهولة جداً ..

وأسهل شيء عندك هو أن تجرحني .. تجعلني أشعر دائماً أني في حرب .. حرب فقط..

أعافر هنا وهناك .. أريد أن أرضيك وأرضي أهلي ..

أبي وأمي يا سعود هم كل ما أملك.. أبي وأمي وأخوتي لهم حق عليا

أيضاً.. تجعلني أجري هنا وهناك .. أريد رضائك ورضائهم .. فيتعرض رضائك مع رضائهم ولابد أن أوفق بينهم .. مزقت نفسي كثيراً بينكم.. أوامرك وطلباتك التي لا تنتهي أبداً .

لطالما حلمت بك تسألني عن حالي .. عن مدي رضاءي .. إن كنت استصعب أمرًا فنحله سوياً ..

إن كنت سعيدة أم لا .. كم كنت أبكي يا سعود ..

ما أصعب الشعور بالحرمان .. كنت أتجنب أي شيء يجعلني أشعر بأني سأحرم منك .. رغم أنني كنت أدرك أنك ستحرمني منك..

***

الحياة قصيرة جداً.. أقصر من أن نعيشها في حرب .. لماء لا نعامل بعضنا البعض بما نشعر به بداخلنا .. إن كان شخص ما قد أخطأ في حقي وشعرت إني بحاجة إليه .. لماذا لا أذهب كي أتحدث معه .. لماذا كل شيء يجب أن نضع فيه كرامتنا أولاً .. لماذا مثلًا لم نأخذ بحديث رسول الله.. وخيركم من يبدأ بالسلام..

كنت تجعلني أشعر دائمًا بأني لست كافية .. كنت أجلس لأسأل نفسي ماذا أفعل كي أرضيك.. كيف أطور من نفسي كي أنال إعجابك من جديد ..

أنا لم أكن هكذا يوماً .. كنت فتاة بسيطة لا تتحدث كثيرًا .. لم أكن

ثرثارة كهذا الوقت ..

كان رفيقـي القمـر .. نعـم كان القمـر .. كنـت أنتظـره كـي أتحـدث معـه..

كنـت إذا هممـت بالنـوم جلسـت لأحـدث الله عـن حـالي وآمـالي وطموحـاتي. كنـت أضحـك كثـيرًا .. وأبكـي مثـلًا إذا وجـدت قطـة جائعـة .. كنـت لطيفـة للغايـة ..

ذات يـوم سـمعت شـخص يقـول أن قلبـه يؤلمـه مـن كثـرة حزنـه.. كان قـد أصابـه هـم أو حـزن مـا .. لم يكـن مرضـاً .. فقـط حـدث شيء أحزنـه..

حينهـا سـألت نفسـي .. كيـف .. كيـف لشـخص أن يشـعر بالحـزن فيؤلمـه قلبـه .. مـا علاقـة قلبـه بالحـزن.. لم أسـتعب حينهـا كنـت أظنهـم يكذبـون

كيف يشعرون بآلام في القلب دون مرض..

حتى أتيت يا سعود ..

ومـن ذلـك الوقـت وأنـا قلبـي يتـألم .. أو عـلى الأرجـح لم أشـعر سـوى بوجـع في قلبـي..

وجـع وألم ووحـدة وخـوف .. لم أشـعر سـوى بقلبـي يتـألم ويبكـي وأحيانـا يـصرخ..

أشـعر وكأنـه يريـد أن يخـرج مـن بـين ضلوعـي لأنـه لم يعـد يحتمـل.

أوقات كثيرة أشعر بدقاته المتتالية والسريعة ..

أشعر به يبكي وحيداً .

مـن حـولي يظنـون أن حظـي قليـل مـن الدنيـا.. ولكنـي لم أشـعر بهـذا مطلقًـا رغـم كل مـا يحـدث لي .. رغـم كل الأحـلام التـي بنيتهـا في سـنوات وانهدمـت أمـام عينـي في لحظـات .. رغـم محـاولاتي العديـدة في إعـادة بنائهـا حتـى إذا انتهيـت وظننـت أني سأسـكن بداخلهـا .. انهدمـت قبـل أن أخطـو بهـا خطـوة واحـدة ..

ذلـك الحـزن جعـل منـي شـخص آخـر .. شـخص مزيـف.. مصطنـع كـما تخـبرني دومـاً ..

سعود ؟!

لمـاذا تقـول لي دومًـا أن متصنعـة .. مـن يتصنعـون يـا سـعود يتصنعـون في موقـف واحـد في وقـت واحـد في شيء مـا ..

ليس سبع سنوات يا سعود.. ليس عمراً ..

أخبرني بالله عليك كيف أكون مصطنعة..

أشـعر بـأني لا شيء .. أشـعر بأننـي كتلـك النقـاط التـي نضعهـا في آخـر السـطر .. أذكـر أنـك أسـميتني مـرة عـلى هاتفـك أربـع نقـاط كهـذه تمامًـا .... أشـعر أن تلـك النقـاط الآن

***

بعـد أن نبـض قلبـي بشـدة وأرتعـش جسـدي لسـماعي صـوت رسـالة آتيـة منـك. .بعـد إعتـذاري لـك عـن أي سـوء صـدر منـي

أمسكت هاتفي وأنا في حالة يرثى لها ..

كانت الرسالة في تطبيق الماسنجر ..

- ماذا تريدي؟

- أريد أن أتحدث معك..

- في ماذا ؟

- أحتـاج لأن أتحـدث معـك واستشـيرك في بعـض أمـور حيـاتي ونعـرف مـاذا حـدث لكلانـا بـما أننـا لا نعـرف شـيئاً عـن بعضنـا منـذ مـدة .. وإن كان هنـاك خطـب مـا فلنهـون عـلى بعضنـا بعضـاً

- لا .. ما تفعليه الآن خطأ..

- لماذا ..

- نتحدث بأي صفة ..

- صديقتك ..

- لا أنــتِ لســتِ صديقتــي .. لا يوجـد صداقـة بـين رجـل وفتـاة.. هـذا حـرام..

هل تعتقدي أن كل شيء تريديه يجب أن يحدث

- لا أنا أطلب منك وأتمنى موافقتك ..

- إن كنتـي تريدين أن تفعلي شيء حرام فأنا لا أريد أن أفعل ..

- ولكني اصبح سعيدة بوجودك معي ..

- لا أريد أن أتحدث معكِ ولكني سأنصحك يا براءة ..

كــوني ســعيدة بــشيء آخــر .. تقبـلي حزنـك ولا تحـاولي أن تتجاهليـه كـي تسـتطيعي أن تتغلبـي عـلى الألم لابـد أن تتحمليـه أولاً ..

تحملي وتقبلي وأرضي ستنضجي وتعقلي ..

- لا أحب أن أتقبل حزني يا سعود .. أحب وجودك ..

- براءة

- نعم

- أنا لا أستطيع أن أكون موجود

- لماذا

- لقد ارتبط بفتاة أخرى ولا أستطيع أن أتحدث معك مرة أخرى ..

- آسفة على ازعاجك

- لا يوجد ازعاج .. أتمنى أن تكوني أقوى

- حاضر سأصبح أقوى بعد كل هذه السنين ..

- سلام يا براءة ..

- سلام

ذهبت كي أصلي .. سجدت وبكيت .. شهقت كثيرًا وأنا ساجدة .. لم يكن بداخلي كلام أقوله .. كان بكاء فقط ..

بكاء يريد أن يخرج ..

كنت أعرف يا سعود إنك لم ترتبط بأخرى أنت فقط لا تريد أن أكون معك.

ولكني لم أكن أريد أن أصدق قلبي ..

اردت ان اصدق كلامك حتى لا أهتم لأمرك مرة أخرى ..

وها قد صدقت قلبي مرة أخرى ..

كيف لقلبي أن يحبك رغم ما تفعله بي ..

ها أنا أتألم مرة أخرى وأشعر أن بك خطب ما .. أحن من جديد .. أريد أن أعرف أخبارك .. أريد أن أتحدث معك ..

كرهت نفسي .. كرهتني حقاً .. أنت محق بالفعل في كرهك لي ..

***

خلال سيرنا في الحياة نقابل الكثير من الانحرافات والمنعطفات.

تلك الانحرافات دائمًا تعكر صفو قلوبنا . نرى في أولها غباراً قد يميتنا لعدم قدرتنا على التنفس ..

نراها بعد محاربة لنجد طريقاً مستقيماً نرضاه لنا ولأنفسنا .. فما إن نقابلها ينهدم ما بنيناه .. وإن لم نقابلها نحن يقابلها شخص من المقربون لنا .. فتغيرهم كما غيرتك أو تغيرنا بأقصى ما لديها من قوة..

موتي نحن في حياتنا ننتظر .. ما زلنا ننتظر فقط.. وما أصعب

الانتظار..

انتظار وقوع الأشياء .. تحول الأمور . انتظار النقطة الفاصلة .. هذا الانتظار الذي يجعلنا كالجثة الهامدة.. لا روح .. لا حياة .. لا سعادة.. ولا حتى حزن ..

تغيرت يا سعود .. لم تكن هكذا من قبل .. أنا أتعجب من كونك أصبحت هكذا ..

ما زلت أتمسك بالجزء المتواري خلف شخصيتك الجديدة .. أشعر دائماً بأنك ستعود لذلك . لم أستسلم أبدًا يا سعود ..

***

أجزم أنك ستعود .

لكن ..

إلى أين ..

قلبي أصبح متجراً يبيع النايات الحزينة ..

وأنت عازف سيء يليق بك طرق الطبول « نجوان مصطفي طه»

كنت جميل يا سعود .. أطول مني بكثير ..

كنت أحب طولك هذا . وأخبرك بذلك دوماً . حتى أنك قلت لي . توقفي عن هذا الحسد لم أعد أطول ..

لم تكن لتترك فرصاً .. تحب أن تتثقف كثيراً و تقرأ... كنت سريع

التعلم ..

ما تريد أن تتعلمه كنت تحفظه بسهولة وترددده في مواقفه.

لم تكن لتنظر إلى فتاة أخرى ..

كنت تخبرني دائـمًا إنك لم ترَ أجمل مني علي الرغم إني لست جميلة..

تقول لي دائـمًا إني غبية . كنا نتحدث ذات مرة عن حياتي .. فقلت لي يمكن أن نلخص في جملة «دورة حياة الكائن الغبي»

أخبرتني إن غبائي أكثر غباء تحبه في الدنيا... أو الوحيد الذي تحبه.

يضحكك كثيرًا

أذكر أنه عندما سألتك عن أدائك في الامتحان قلت لي أنه .. أسهل مما كنت تعتقد وأصعب مما كنت أتمنى ..

- نعـم يـا سـعود يعنـي إنه صعـب أم سـهل .. مـاذا تقول ؟!

- أسـهل ممـا كنـت أعتقـد وأصعـب ممـا كنـت أتمنى يـا براءة

- آه تعنـي إنـه كان صعـب وأنـت قمـت بحلـه بسـهولة ولم تتوقـع ذلـك

- يـا غبيـة افهمـي .. أسـهل ممـا أعتقـد وأصعـب ممـا كنـت أتمنـى أي شـخص يمكنـه أن يتمنـي كـما يحـب ..

- ضحكـت حينهـا ومازلـت لا أفهـم كيـف كان أداؤك حتـى الآن ..

كنـت تضحـك عليـا .. كنـت سـعيدة لأني أجعلـك تضحـك.. أحـب أن أراك سـعيداً

كنـت مهتمـة دائـماً أن أعـرف تفاصيلـك.. كل تفاصيلـك.. كـم حسـنة في يـدك في وجهـك .. أحـب تلـك التـي خلـف أذنـك الأيمـن ..

أعتقد أن فصيلة الدم **A**+

أفضـل فصيلـة لأنهـا فصيلـة دمـك .. أحـب مشـيتك عندمـا تنسـى إرتـداء حـزام بنطالـك.. أعـرف مشـيتك جيـدًا.. يمكننـي أن أميزهـا بسـهولة..

أحـب صوتـك عنـد استيقاظك مـن النـوم.. يشـبه صـوت كـمانجـة حزيـن ..

رجولتـك صعبـة يـا سـعود .. عندمـا تغضـب تجعلنـي أرتعـش .. أخـاف مـن غضبـك عليـا.

أشـعر بالخجـل وأنـا أنظـر إلى عينيـك.. أحـب عينـك يـا سـعود ..

كنت جميل..

تغـيرت مـن أجلـك .. لم تكـن تـرى بي عيبـاً وأصبحـت فجـأة تـرى كل العيـوب ..

لا أعلـم مـا الـذي تريـده و مـا الـذي تفعلـه .. فجـأة لم تعـد تريـدني في حياتـك .. هـل كرهتنـي حقـاً يـا سـعود ؟!

هل نسيتني؟ .. لا تريدني في حياتك

ألم تخبرني أني كنور الشمس التي تشرق لتُنير حياتك..

أتعيش في الظلام الآن.. أم أنك كنت تكذب علي

تغـيرت مـن أجلـك صدقنـي .. أصبحـت كل شيء كنـت تريـدني أن أكـون عليـه..

لم أعـد أرى غـيرك يـا سـعود ... لا أسـتطيع أن أنسـى مـا كان بيننـا وأتركـه خلفـي وأمـضي ..

أنت بداخلي .. أعيش بنبض قلبك .

الآن تخطـئ في اسـمي بعـد كل هـذا .. تكتـب اسـمي خطـأ في رسـالتك ثـم تقـول إنـه خطـأ لوحـة المفاتيـح..

تخطـيء في اسـمي يـا سـعود .. اسـمي الـذي كنـت تقولـه لأي شـخص عـن طريـق الخطـأ.. كيـف تجعلنـي حزينـة بهـذه الطريقـة..

مـن أيـن أتيـت بتلـك الأريحيـة وأنـت تخـبرني إنـه أصبـح لديـك صديقـة مقربـة..

كيف فعلت هذا.

توجعـت .. آلمتنـي .. معرفتـي بهـذا لم تكـن سـوى خنجـر آخـر وضعتـه بقلبـي ..

أخطائـك هـذه وإن لم تكـن بقصـد كانـت كالجمـر الموضـوع تحـت قلبـي.

يغلي قلبي من الألم.. ألم تسمع صراخه أبداً

يـصرخ يـا سـعود .. يـصرخ ولم تكـن تفعـل شيء إلا أن تزيـده ألمًـا ..

ترفع صوتك علي وتُخيفني وأظل اطيب خاطرك ..

ما هذا الذل الذي جعلتني فيه.. ما هذا الحب ..

كنت أظن أن الحب هو السعادة .. كنت أعتقد أن من يحبون هم أسعد الأشخاص على هذه الأرض..

وحتى الآن أقول أن الحب هو أجمل شيء يمكن أن تهبه أو تتلقاه في هذا العالم.. ولكنك حرمتني منه

نحن نحتاج إلى الحب كي نستطيع إعادة شحن أنفسنا بالطاقة كي نعيش.. يعطينا القدرة على المقاومة والسير في هذا الطريق الطويل الذي لا نرى نهايته أبداً ..

كلما رأينا نوراً ذهبنا إليه وجدناه ناراً.. طرقات مسدودة وانحرافات كثيرة ..

كل ما كنت أتمناه هي علاقة طيبة قوية يكسوها الحب والرحمة والصدق ...

كل ما كنت أتمناه أن أظل حبيبتك إلى جانبك ..

بعد أربعة أعوام من حبنا توقفت عن قول كلمة أحبك ولم تقولها يوماً حتى الآن وكأنك نسيت هذه الكلمة أو حذفتها من قاموس تعاملك معي..

تغضب بشدة عندما أُخبرك أني أحتاج إلى سماعها..

تخبرني بغضب لو قولتها سأكون كاذب .

في يوم من الأيام وكان الشتاء قارساً حينها.. وكان هناك البرق والرعد ..

كنت أجلس خارجًا على أريكة مقابلة لمنزلنا وحدي.

اتصلت بك وكنا سعداء للغاية.. عندما تخبرني أنك تحبني كان البرق يظهر في السماء وأضحك أنا.

أتذكر كم مرة قلتها في ذلك اليوم .

كنت مغمورة بفرحة ليس لها مثيل..

في اليوم التالي وفي نفس المكان ونفس الوقت أخبرتني أن أخاك حلم بك حلم سيء ..

كنتم معاً في وسيلة مواصلات وقد كسر الباب وأنت تقع وهو يمسك بك ويسحبك ولكنه لا يستطيع..

قلت لي أنك فسرت هذا الحلم على علاقتنا..

أن علاقتنا هي التي ستجعلك تقع وتموت.. وقد أخذت قرارك بأن تُنهي ما بيننا.. وأغلقت في وجهي وتركتني مذهولة ..

ما هذا ؟!

سيتركني من أجل حلم ؟؛

ما الذي تفعله يا سعود ؟! أجرحك لي سهل هكذا ؟؛

أعتقــدت اني ســأكون ســعيدة اليــوم كالأمــس.. لكــن انظــر.. انظــر إلى دموعــي التــي تنهمــر غصبًــا عنــي.. وقــد أمطــرت الســماء.. شــعرت بأنهــا تشــاركني بكائــي .. بكــت الســماء معــي وأنــت مــا زلــت لا تشــعر بي..

حبك وجع يا وجع قلبي.

***

اســتطردتني صديقتــي بينــما كنــت أجلــس في الجامعــة وفي المــكان الــذي تقابلنــا فيــه آخــر لقــاء لنــا. قائلــة..

الذين ألفناهم شجراً باسقاً صاروا قشاً حين حزنوا..

- أين هذا الحزن أنا فقط في انتظاركم

- لا داعــي يــا بــراءة مــن الخــداع .. كلنــا نــرى الحــزن في عينــك. لم تكــوني هكــذا مــن قبــل ..

كلنا نعرف أن سعود هو السبب..

نعــرف جيــداً أن ســعود وجعــك الأول والاخــير .. نحــن فقــط لا نريــد أن نســألك..

- دعكِ من هذا فلنذهب لدينا اختبار في الغد .. وذهبنا ..

أأصبحت هشة هكذا ؟! أيظهر حزني ؟! إذًا لماذا لا تراه..

لماذا ترى أني سعيدة وأني أستطيع العيش بدونك..

لا تريد أن تتحمل صدق حبي .. لا تريد علاقة ترهقك لأنك لا تستطيع.

أن تفي بوعودك وتقابل ما أفعله لك بحب..

ألا تستطيع أن تُضحي من أجلي ..

***

عندما أشعر بالخوف أنام.. يمكنني أن أنام يومين كاملين كي أتخطى ما أخافه. أخاف من العديد من الأشياء .. هذه الدنيا تُذيقني من ألوان العذاب كله..

أحلامي تتحطم كثيرًا ولكني لم أفقد الأمل .. ما زلت انتظر .. أشعر بأن الله سيحققها لي يوماً

أخبرتك ذات مرة إني خائفة .. كنت مشغول وقتها.. هدأت من روعي قليلاً وأغلقت هاتفك..

تركت كل شيء بعدها بقليل وذهبت بعيداً كي تتحدث معي .. استيقظت على رنة هاتفك..

لا أريدك أن تنامي خوفاً بعد الآن.. سأظل معكِ

تحدثنـا حتـى غفـوت ورحـت في نـوم عميـق هـادئ لا يشـوبه خـوف ولا قلـق.. وأغلقـت هاتفـك بعـد أن تأكـدت أني قـد نمـت..

كنت لطيف للغاية ..

أينتهـي كل مـا بيننـا هكـذا .. أتنهـي كل تلـك السـنوات بهـذه الطريقـة .. تغـيرت مشـاعرك إلى حـد غريـب..

كان يخـبرني قلبـي دائـماً إن طريقنـا طويـل وسـيطول وإنـك لـن تتركنـي حتـى تسـتهلك كل مشـاعري ..

اسـتنفذتني كامـلًا يـا سـعود فلـم يعـد هنـاك شيء بداخـلي لأي شـخص آخـر

أتنصحني بأن أتزوج غيرك.. كيف أفعل أخبرني..

يا لقسوة قلبك.. زاهدًا أنت بعلاقتنا كلها..

سئمت هذا الحب يا رجل ..

كم هي كثيرة جراح قلبي.

***

لـو أن الكتابـة ترحـم ضعفنـا ولا تتركنـا في أكثـر الأوقـات احتياجًـا لهـا .. لـو أنهـا تسـاند كلا منـا في ضعفـه

تقـف إلى جانـب كل عاشـق و مهمـوم وحزيـن .. لـو أنهـا تبقـى هنـا ..

لأصبح كل شيء جميل ..

لـو كنـا نسـتطيع أن نقـف لنشـيعهم وشـيعنا معهـم ذكراهـم أيضـاً لأصبـح كل شيء جميـل ..

الذكـرى تعيـق رحيلهـم .. تُعيدهـم إلى مكانهـم. تجعلهـم يسـتوطنون قلوبنـا وذاكرتنـا .. تلـك الذاكـرة التـي تعيـق الراغبـين في المـوت وتجعـل الراغبـين في الحيـاة موتـى..

لا أحد يعاتبني على ضعفي.. ليتني بمثل قوتك..

حاربـت لأجلـك الجميـع لكـن وأقسـم لـك أن الحـرب الوحيـدة التـي أسـتهلكتني هـي الحـرب التـي دارت بداخـلي.. الحـرب التـي أوجدتهـا بداخـلي .. الحـرب التـي وضعتنـي فيهـا .. وفي النهايـة خذلتنـي..

نحن لا نتغير ..

أما نصبح أكثر هشاشة وضعف أو أقل حدة..

نحن نقاوم ونقاوم ثم نشعر بالتعب فنتعب جداً .. ما الجدوى من العيش والبقاء ما دمنا غير أحياء..

ما نفع البقاء إن كُتب على كل شيء الرحيل .. ما جدوى التشبث بالمقاعد نراقب خيبات الفقد تتبع بعضها بعضًا..

لطفاً .. لا تردد لي كلمات محفوظة لا أنت ولا أنا ندري لها معنى .. قل لي ما الجدوى من بقائي معك وانت لا تكترث لي أبدًا

أنا وأنت ما إلا مجرد أوراق أشجار لن تنقص من الشجرة شيئًا أن وقعوا فلماذا لا نتشبث ببعضنا..

ما جدوى ما أفعله إن كانت ذكرياتي معك تلاحقني أينما كنت..

يتمدد حزني يطلي جدران غرفتي بلونه الأسود حتى أظن أني أختنق .. بل حقت اختنقت..

ما هذا الطريق الطويل.. المهاجرين والمقيمين.. مفلتي الأيدي وتاركي قلوبنا تنزف أمام أعينهم.

لفترة طويلة كنت أعتقد أن الرجال هم مفلتي الأيدي .. هم السارقون. من يسرقون فرحتنا ويمضوا وكأنهم لم يفعلوا شيئاً..

من يقتلونا بدم بارد مُخلفين ورائهم ذكرياتهم معنا ..

حتى أخبرتني صديقتي بقصة قريب لها يُدعى محمود.. أحب محمود زميلته في الجامعة منذ العام الأول لهم.. دام حبهما لخمس سنوات..

عشقها كما قالت صديقتي..

كلما أراد أن يتقدم لخطبتها كانت ترفض معللة ذلك حتى يبنوا مستقبلهم ويحققوا ذاتهم كي يضمنوا حياة كريمة..

كانت تطالبه بأن يجد وظيفة كي يجمع منها مالًا يجدوه بعد تخرجهم..

عافر كثيراً من أجل حبيبته منة .. قام بكل الأعمال المرهقة.. غسل الأطباق .. نظف الشوارع وحتى المراحيض .. باع الجرائد ووقف في الطرقات.. كان راضٍ بكل ما يفعله القدر به و ينسى همومه وتعبه عندما يتخيل حياته مع حبيبته..

أرهقته الدنيا ولكنه لم يهتم سوى بأن يؤَمن لها حياة جيدة..

وفي يوم من الأيام وجد محمود وظيفة في الخارج.. و كان يتوجب عليه السفر.. فرح لهذه الوظيفة .. وذهب مسرعًا

كـي يخبرهـا.. قـال لهـا بأنـه يريـد أن يتقـدم لهـا. وقـد وجـد وظيفـة.. أخبرتـه بـأن يسـافر وهـي

ستنتظره وعندما يعود ستوافق على هذه الخطبة..

سـافر محمـود وعانـى الكثـير في غربتـه.. عملـه كان مرهـق جـدًا. حتـى إذا وجد وقـت للراحة ذهـب كي يتصل بها و يسـأل عنهـا.. ذلـت مـرة اتصـل بها ليومـين ولكنهـا لم تـرد عليه أبـدًا..

اتصـل بصديقـة لهـا فأخبرتـه أن شـاب آخـر تقـدم لخطبتهـا وقـد وافقـت..

اشـتد غضبـه و ظنهـا تكـذب عليـه.. اتصـل مسرعًـا بهـا مـرة أخـرى و سـألها إن كان مـا سـمعه حـدث أم لا .. فأخبرتـه نعـم حـدث

قالـت نعـم بـدم بـارد.. و لم تكتفـي.. دعتـه ايضًـا إلى حفـل الخطوبـة..

و ذهـب .. ووجدهـا أجمـل عـروس يمكـن أن تراهـا عينـه.. وذهــب باكياً..

كيف لمن يخونوا العهود أن يكونوا بتلك الأريحية ..

أن تدعــوه إلى خطبتهــا وتنظــر إلى دموعــه.. هــل الحــب يلعــب بقلوبنــا أم مــاذا..

الحـب يجعـل منـا مزحـة أحيانًـا.. يجعلنـا نمـضي لا نعـرف إلى أيـن سـنذهب...

مـن كانـوا وطنـاً لنـا نفونـا عنهـم ولم نعـد لدينـا الحـق في أن نسـكن في قلوبهـم.. أن ندفـئ أنفسـنا بحبهـم كـما كنـا نفعـل .. فـإلى أيـن سـنذهب الآن..

صراخ قلوبنا أصبح عظيماً .. عظيماً جدًا.

فهل نحن مذنبون لذلك نعاقب ،؟!

***

أنـت عـلى حـق يـا سـعود .. لم أعاتبـك يومـاً عـلى مـا تفعلـه بي.. ربـما هـذا كان إحـدى أخطائـي وأعظمهـا.. خـوفي الزائـد مـن انني سـأفيق اليـوم عـلى هجرانـك لم يفارقنـي..

الخوف الذي يقبض روح كل شيء إلا روحي ..

يبقينـي عـلى حافـة كل شيء .. حافـة الفـرح.. البـكاء.. حتى حافـة الانهيـار.. يجعلنـي أشـعر بغصـة شـديدة في قلبـي .. وأبدًا لم تبـذل جهـداً في أبعـاد هـذا الهاجـس بـل دائـمًا تزيـده..

أشعر دائمًا بعد الأمان..

كنـت اقبـل مسرعـة على اسـتنزاف مشـاعري مـن أجلـك.. أسـكبها كل يـوم أمامـك.. ولكنـك أبـدًا لا تراهـا..

تهديد لـذة سـعادتي تلـك التـي أشـعر بها بجـوارك كانـت أمـر شيء في الحيـاة .

لمَ تهـددني دومـا بـأني سـأفقدك.. سـأفقد الـشيء الوحيـد الـذي أحبـه..

لم تهددني بعدم بقائك يا سعود.

كنـت أخـاف أن أقـول عـلى نفـسي حبيبتـك عندمـا تسـألني مـا صفتـك بالنسـبة لي. ..

لأسكت.. فتجيب أنت.. أتخافي من قولها...

نعم أخاف...

فما الذي فعلته كي تجنبني هذا الخوف ؟!..

أنت تزيدني خوفًا ليس إلا ..

تحبنـي هـذه اللحظـة.. هـل سـتحبني غـداً.. مـاذا إذا أخطـأت هـل سـيكرهني ويتركنـي وحـدي ؟!..

تلك الهواجس لم تفارقني..

لم أكـن أغضـب منـك حتـى لا أتـرك لحظـة واحـدة لا أكـون فيهـا بجـوارك بعكسـك تمامًـا..

لم أطلب منك أي شيء حتى لا تبتعد عني.. ولكنك لم تفعل شيء سوى الابتعاد..

لم أقل إني ملاك .. ولكن انتظاري للشيء الذي أريده وخوفي ذاك كان يتملك تفكيري كالمرض الذي ينتشر سريعًا في الجسد ولا نستطيع التخلص منه..

أتظن إني بلا مشاعر ..

أريدك أنت تضحكني لأني دائمًا حزينة .. أريد أن أغضب منك قليلًا كي أبتسم وأنت تصالحني .. أريدك أن تسأل عن حالي..

أن لا تنام مثلًا إلا بإخباري أنك تحبني كما كنت تفعل مسبقاً ..

هل هذه الاشياء كثيرة عليا ..

أخطأت بحقي كثيراً .. وأعظمها أنك أفقدتني الأمان ..

بالمناسبة أنا الشيء الوحيد الذي رأيته في حياتك لا يتغير أبدًا ..

أأدركت هذا أم لا ..

تذهب و تجيئ وتتغير وتقابل أشخاص آخرون وترى تغيرات عدة .. وتتأثر بها أحيانًا .. لتعود فتجدني كما أنا..

كان قـد تقـدم لخطبتـي شـخص مـا .. كان مناسـباً لأبعـد حـد.. بـه كل الصفـات التـي تجعـل أي فتـاة تتمنـاه..

لم اكـن لأوافـق ولكـن كانـت حجـة كـي أتصـل بـك وأتحـدث معـك..

سألتك عن حالك..

قلت.. ماذا تريدي يا براءة .. ألم ننتهي ؟!

- أريد أن أتحدث معك يا سعود ..

- في ماذا ؟!

- تقـدم لخطبتـي شـاب وأنـا أسـألك الآن .. تريـدني معـك أم لا ..

- لن أجيبك على هذا السؤال أبداً يا براءة

- لمـاذا يـا سـعود لمـاذا .. أقسـم لـك أن أخبرتنـي أنـك لا تريـدني في حياتـك سـأذهب لأتـزوج منـه ولـن أضايقـك مـرة أخـرى

- بـراءة لا أسـتطيع أن أقـول لـك أني لا أريـدك و في الوقـت ذاتـه لـن

أقـول أني أريـدك .. فـلا تحـاولي الاتصـال مجـددًا لأنـك لـن تجـدِ إجابـة لهـذا السـؤال عنـدي .. افعـلي مـا شـئتِ

وأغلقت هاتفك كعادتك وتركتني..

تركتني لا أعلم أتحبني أم ماذا

لم أعـد أسـتطيع أن أفهمـك يـا سـعود .. لمـاذا لا تريـد قولهـا ..

تريدني معك أم لا ..

هل وجودي صعب هكذا ..

***

نحـن البـشر لا نتحمـل القسـوة رغـم أنـه لا أحـد غيرنـا يقسـو.. لا نتحمـل ذلـك الشـعور الغريـب الـذي يجعلنـا نشـعر بالقهـر ..

أؤمن جدًا بما قاله « جوزيه ساراماغو «

القسـوة اخـتراع بـشري. فالحيوانـات لا تعـذب بعضهـا البعـض. لكـن نحـن نفعـل ذلـك. نحـن الكائنـات القاسـية الوحيـدة عـلى هـذا الكوكـب.

غضبـت بشـدة عندمـا قلـت لـك أني لـن أسـامحك عـلى قسـوة قلبـك..

لماذا غضبت ؟!

قـل لي شيء واحـد يكـذب كلامـي. قـل لا شيء واحـد كنـت رحيـم فيـه علي.

انت لا تهتم لمشاعري منذ زمن بعيد ..

لا تهتم بما أشعر وبما لا أشعر

دائـما كلماتـك قاسـية .. وكأنـك تتفنـن كل تختـار أيهـما أكثـر جرحًـا لي..

***

منـذ أن علـم والـدي و والـداك بحبنـا انقلبـت الدنيـا عـلي.. لم يحدثنـي والـدي لمـدة عـام كامـل .. في نفـس هـذا العـام تركتنـي أنـت أيضـاً ..

كنـت أشـعر أني منبـوذة .. كان هـذا في العـام الـذي حلـم فيـه أخيـك بذلـك الحلـم الـذي تركتنـي بسـببه..

كنـت أنـام وقـت اسـتيقاظهم وأسـتيقظ وقـت نومهـم.. لم أخـرج مـن غرفتـي لم آكل أو أشرب..

كانت تقتلني الوحدة كل يوم خنقاً ..

حاولـت مـرارًا أن أصـل إليـك .. أردتـك جانبـي ولكنـك أغلقـت كل الطـرق يـا سـعود ..

كنـت وحيـدة أبكـي وحـدي .. لم أكـن أسـتطيع أن أخـرج مـن غرفتـي و وأواجـه العـالم ..

أبواك لم يقبلا بي أيضاً..

لماذا انا مكروهة إلى هذا الحد..

لحظـات كثـيرة مـن الألم أعيشـها .. حاولـت الانتحـار مـراراً ولكـن لـو لم يحرمـه الله لفعلتـه منـذ أمـد بعيـد ..

أنـام واسـتيقظ وأبكـي هـذه كانـت حيـاتي.. فـما إن وجـدت فرصـة كـي

أكـون بهـا معـك فعلتهـا حتـى أنسـى كل هـذا العـذاب الـذي أعيشـه..

كنـت أنتظـرك حينهـا كـي تـأتي لتعوضنـي ذلـك الألم والوحـدة الشـديدة التـي اعيشـها .. ذلـك الحبـل الـذي يُلـف عـلى رقبتـي كل يـوم أردتـك أن تنزعـه يومـاً ..

انتظرتـك كثـيرًا يـا سـعود ولكنـك لم تـأتِ أبدصـا.. لقـد انطفـأت ..

لم تتمسك بي أمام والديك لم تجادلهم أو حتى تناقشهم في سبب رفضهم لي.. لم تحاول حتى أن تتحدث معهم عني.. سمعت الرفض و وقفت صامت .. لم تتحدث يا سعود.. لم تتحدث.

أين هو حبك.. أتعتقد أن كل الأشياء تؤخذ بسهولة.. ما يأتي بسهولة يا سعود يرحل بسهولة..

أردتك أن تحارب من أجلي ولكنك حتى لم تنطق بإسمي..

***

قبل اتصالي بك لأخبرك عن ذلك الشاب الذي تقدم لخطبتي وإنك إن لم تعد تريديني لنأحاول الاتصال بك..

كنت قد تعرفت على تلك الفتاة التي أخطأت باسمي وكتبت اسمها

والتي أخبرتني أنها أصبحت صديقتك المقربة..

لم أستطع حينها أن أصل إليك .. كنت قد أغلقت كل الطرق في وجهي..

اتصلت بصديقتك كي تخبرك إني أريد التحدث معك ..

ولكنها أخبرتني أنك نائم..

أنـــت لا تعـــرف كيـــف كان الســـهم الـــذي وضعتـــه تلـــك الفتـــاة في قلبـــي .. ســـهم مســـموم..

لقد ذُهلت حينها ..

- وكيف عرفت أنه نائم ..

- هو أخبرني كي أيقظه بعد ساعتين

- هو قال هذا..

- نعم..

- أخبريه عندما يستيقظ أني أريد أن أتحدث معه..

جعلـت فتـاة غـيري تأخـذ مـكاني في كل شيء.. بـل الأدق.. جعلـت فتيـات كثـيرة يأخـذن الحـق في أشـياء كنـت أتمنـى أن أحظـى بهـا..

هـل كنـت تريـد أن تسـمع صوتهـا عندمـا تسـتيقظ كـما كنت تفعـل معـي.. مـاذا تريـد بحـق.. يـا الله ليتـه حلـم فأسـتيقظ منـه ..

أخبرني بالله عليك ما الذي يحدث..

أنت تؤلمني .. كلامك .. أفعالك.. كل شيء يؤلمني ..

لم تشعر بي أبدًا يا سعود .. يتعاظم الألم في قلبي.. لم أكن أريد أن أتحدث معك بعد هذا.. ما سمعته كان يكفيني .. ولكنها قالت أنك

صديقها فقط.. لم يكن سببًا في إني حدثتك.. ولكن حاولت إقناع نفسي بهذا..

كيف هي الصداقة بين رجل وفتاة .. كيف هي.. قل لي.. ألم تجربها..

كنت أفعل كل ما تريده مني وفي النهاية لم تتقبلني حتى كصديقة لك بعد كل الحب الذي وهبتك إياه..

ما هو الشيء الذي لم أفعله من أجلك .. ؟! ما الشيء الذي جعل من حبي مزحة كهذه..

***

ما زلت أذكر تلك المرة التي تحدثنا فيها على الهاتف معًا لمدة ١٢ ساعة .. أتذكر ؟

١٢ ساعة لا نفارق بعضنا .. نصنع الطعام.. نأكل .. نشاهد التلفاز .. كل شيء فعلناه سوياً.. أذكر حتى أننا قمنا بحل مشكلة السودان والقطب الشمالي.. اتذكر هذه المزحة التي أخبرتني إياها..

قلبي على هذه الأيام.. ليتها تعود...

كنت تقوم برياضتك وأنا معك على الهاتف.. تقولي لي دائمًا إني أشبه فنجان القهوة.. مهما غلبك النعاس و تحدثت معي أفقت جيداً .. كنت تحب سماع صوتي .. غنيت لك مرة على الرغم من أن صوتي سيئاً وأنا أغني ولكنك أحببت هذه الاغنية كثيراً ..

أنا أتعلق بشدة يا سعود .. فما إن تعلقت لا أستطيع إخراج الشخص الذي تعلقت به من حياتي.. يبقى معي كقلبي.. وأنت أصبحت قلبي ..

فكيف لي أن أراك ترحل عني وأظل صامدة..

***

أذلك الحب هو الجارح أم نحن من نجرح أنفسنا بأيدينا ثم ندعي افتراءاً بأن الحب هو من فعل بنا هكذا..

كنت مخطئة في طريقة حبي لك.. كنت اعطيك ولا أنتظر منك شيء..

فما إذا أعطيتك أردت المزيد والمزيد حتى ظننته حق مكتسب تسترده..

أفكـر أحيانًـا في أن هـذا عقابـاً مـن الله .. يعاقبنـي كـي لا أتعلـق بغـيره...

كيـف لهـذا الحـب أن يدمـرني إلى هـذا الحـد .. كيـف لـه بـأن يسـلبني كل شيء ويتركنـي جثـة هامـدة بـلا روح..

في عـام ٢٠١٥ وكالعـادة وبتكـرار المواقـف معـك .. وقـد كنـت غاضبًـا منـي حينهـا ولا تتحـدث معـي.. وكان حفـل زفـاف قريبـة لي وقـد جهـزت كل شيء للحضـور .. فـلا يجـود لـدي خيـار في هـذا الموضـوع..

اتصلـت بي كـي لا أذهـب إلى ذلـك الحفـل وإلا سـتبتعد عنـي للأبـد..

أي مزحـة هـذه يـا سـعود بـالله عليـك.. كيـف سـتتركني وانـت قـد تركتنـي بالفعـل.. ألم تخـبرني مـن قبـل أنـك لا تريـدني.. ولم تعـد تحبنـي ولم

تتحدث معي منذ أكثر من ثلاثة أشهر ..

كيف ستتركني وأنت تاركني..

- بـراءة لا تقـولي هـذه الأشـياء لا تجعـلي الشـيطان يصـور لـك أشـياء سـخيفة كهـذه .. لا تقـولي كيـف سـأتركك وأنـا تركتـك .. انـتِ تعـرفي جيـداً إني لم أتـركك بعـد ..

لقـد تركتنـي يـا سـعود بالفعـل تركتنـي غارقـة في دموعـي وبـدون سـبب لذلـك..

آسفة يا سعود لم يعد لدي خيار في ذلك سوف أذهب..

وقـد ذهبـت يـا سـعود.. ووجدتـك هنـاك .. جلسـت الحفـل بأكملـه ولم أتحـرك مـن مـكاني حتـي لا أغضبـك.. وأثنـاء خروجـي قلـت لي.. لا تندمـي..

والتي بالطبع تعني أنك ستجعلني أندم ندم عمري..

ذهبـت كـي أركـب السـيارة وكنـت ترمقنـي بنظراتـك مـن بعيـد .. تريـد أن تعـرف مـع مـن سـأركب .

أخبرتنـي قريبتـي أنهـا لم تـرَ مثـل هـذه الغـيرة التـي تراهـا في عينـك أبـدًا..

ترقبـت نظراتـك عندمـا آتي قريـب لي ليتحـدث معـي كـي أركـب معـه.. ولكنـي رفضـت وركبـت مـع نسـاء لا أعرفهـن كـي لا أغضبـك ..

لم أكـن لأريـدك أن تحـزن أو تغضـب أبـداً .. صدقنـي حتـى وإن كنـت أفعـل شيء لا تريـده كنـت أراك دائـمًا أمامـي ..

كنت أتجنب أي شيء قد يسبب لك ازعاجاً..

أخـاف عليـك مـن أي أذى يـا سـعود ولكنـي كنـت مجـبرة عـلي فعـل أشـياء كثـيرة كانـت تغضبـك..

ولكن ماذا أفعل ..

كنـت أحـاول إرضائـك كثـيرًا .. فكيـف لا تغفـر لي ذلات صغـيرة..

أخطائـي دائـمًا صغـيرة لم تكـن لتجعلـك تكرهنـي أو تتركني .. كنـت أود أن أخـبرك لـو إن مـا بيننـا أمـام الجميـع كنـت نفـذت كلامـك أنـت فقـط.. لم أكـن لأحزنـك .. ولكنـي كنـت أخـاف مـن أن أجـرح مشـاعرك بقـول شيء كهـذا .. كنـت أفعـل مـا بوسـعي لإرضائـك..

***

منـذ ثلاثـة أعـوام تقابلنـا أنـا وأنـت صدفـة في بلـد غـير بلدنـا ..

كنـا نختـم بعـض الأوراق في إحـدى الهيئـات الحكوميـة .. أخبرتنـي إنـك ذاهـب إلى مـكان مـا وأنـا أخبرتـك أني سـأذهب لكـي أكل .. ذهبـت أنـت إلى المـكان الـذي كنـت سـأذهب إليـه و ذهبـت أنـا إلى المـكان الـذي كنـت سـتذهب إليـه..

عندما أخبرتني عندما عدنا ضحكنا كثيراً على أنفسنا ..

كنـا نحـب بعضنـا كثـيرًا يـا سـعود .. نترقـب رؤيـة بعضنـا الآخـر..

أتذكـر عندمـا كنـت تنتظـرني في الشـارع المقابـل لبيتـي .. تقـف بالسـاعات كـي تـراني ...

إذا ذهبت إلى مكان أجدك فيه..

مـرة مـن المـرات ركبنـا نفـس السـيارة .. كنـت قـد ركبـت أولًا أنـت جلسـت في الكـرسي الـذي أمامـي .. عندمـا لمحـت أن شـابان سيجلسـان بجانبـي أتيـت لتجلـس بجـواري ..

أشـعر بالطمأنينـة وأنـا بجـوارك .. وكأن روحـي تقابلـت أخـيراً مـع نصفهـا...

عندمـا تمسـك بيدي أشـعر وكأنـك خبأتنـي بداخـل قلبك ..

كنت جميل للحد الذي لا حد له ..

تخـاف عـلي كثـيراً مـن أي شيء وكل شيء .. تغـار عليـا بفظاعـة شـديدة يـا سـعود..

أشتاق إلى غيرتك..

***

تمـر السـنوات سريعًـا يـا سـعود وكلـما مـرت كان حبـي لـك يـزداد وحبـك لي يقـل..

مـا معنـى أننـي مميـزة بالنسـبة لـك وأنـت تصـادق غـيري مـن الفتيـات .. مـا هـي الميـزة التـي أوهبتنـي إياهـا..

لم أعـد أشـعر إلا بـأني أقـل حقـاً فيـك مـن أي شـخص تعرفـه.. بـأي حـق يـا سـعود تقـرر في يـوم وليلـة أننـي غـير مناسـبة لـك.. بـأي حـق تفعـل كل هـذا بي ..

لم تضـع اعتبـاراً لـكل هـذه السـنوات التـي قضيناهـا معًـا .. لم تقـدر قلبـي وحبـي .. لم تقـدرني أبـداً..

ألهـذا الحـد تسـتهزئ بي .. تريـد فقـط أن تُـرضي نفسـك .. تُلبـي احتياجـك.. سـعادتك .. تفكـر في نفسـك فقـط..

أخـبرني إن كنـت أكـذب .. قـل لي متى فكـرت بمشـاعري.. بحـزني .. تسـبب لي الحـزن فقط..

أعتـذر لنفـسي كثـيراً عـما اقترفتـه بحقهـا .. أعـرف جيـداً بـأني الظالمـة الوحيـدة لنفـسي كـوني جعلتهـا تحـت رحمتـك ..

رحمتـك التـي حرمتنـي منهـا.. لطالمـا كنـت أنتظـر منـك ولـو كلمـة واحـدة تطيـب بهـا جراحـي .. ولكنـك لم تفعل أبـداً..

ما أسوأ حبي لك.. ما أسوأ أن يضع أحدهم قلبه بقبضة يد آخر.. فيشعر بقلبه يعتصر ألماً بين كفيه وينتظر أن يرخو عليه ولو قليلاً..

جعلتني أرضى بقليل القليل منك .. وحتى إنك لم تعطيني القليل.

***

كتبت لي في عام ٢٠١٣ شيء جميل عندما كان قلبك جميل

كتبت لي.. أحبك يا حبيبتي من كل قلبي..

ولكن قلبي للهوان رافض..

وضميري في مراقبة تصرفاتي هو لي كالليث غاضب

فلا يتركني تأنيبه ليلاً ولا صبحاً هو عني مُعرض..

تسألينني عن الهوان أجيبك سائلًا وقلبي قابض..

كيف يهون علي حب عمر كنت له بفك من حديد عاضض..

عشت عمري أبحث عنك فوجدتك فتعاهدت أن أكمله لحبك قانت..

يا من أسرت الفؤاد

بدونك لا يجري دم في عروقي بل هو ثابت..

كنت فرحة جداً وأنت تقرأها لي.. ولكن دعني أسألك.. كيف هنت ..؟!

كيف هو حال قلبك... كيف هي دماء عروقك..

تسألينني عن الهوان...

هذا هو الهوان.. ما فعلته بي هو الهوان..

***

هذا العالم السيء الذي أفطر فؤادي مئات المرات.. الذي نعيشه بدون غاية.. أقصد يميتنا بالبطيء ..

هو مكان قاس حقًا .. لا يكترث لنا كثيرًا.. لا يكترث بأولئك الذين يمرون سريعًا بل يسلبنا ما نملك ..

يسلب منا الأشياء شيء فشيء .. حتى يجعلنا دائماً بحاجة إليه . يجعلنا دائمًا في تلك المحنة وهذه المصائب التي لا تأتي فرادى بل دفعة واحدة..

والأحداث والحقيقة التي لا توافق أبدًا ظنونًا.

كسرة قلوبنا التي تجعل منا ركاماً.. تجعلنا جسد بغير روح.

وتلك الآلام التي نظنها قد نُسيت ومازلنا نتذكرها كل ليلة قبل أن ننام وجعاً وتعباً ولا زالت تخوننا أعيننا بالبكاء..

قصور الوهم التي نسكن بها وتنقض علينا.. فراق الأحبه وماله من لذع لا يطاق ..

أنصاف الحلول التي لا ترضينا.. أولئك الأشخاص من ليس لدينا حق في مجاورتهم وأرواحنا معهم.. من لدينا قدرة على مجاورتهم ولكنهم لم يرغبوا بمجاورتنا أو أننا لم نفعل.

الذين تركوا أيدينا عند اعوجاج الطريق .. العجز حيال هذا العالم..

العزلة التي نظنها سيئة وما هي بذلك السوء.. التي تجعلنا نسمع أصواتنا التي لا يسمعها أحد.

حالة الانكار التي تلي الصدمة..

الخوض مع الخائضين الذي يفقدنا أنفسنا..

ما ظنناه اليوم حكمة ولعنا فيها بعد حماقتنا...

الحب الذي قد يصيبنا ويطفئنا فجأة ويذهب ويأخذ معه أرواحنا..

البحـث عـن السـعادة الدائمـة في كل مـكان ممكـن غـير الله فلـم نجدهـا..

كل تلك الآلام وأكثر .

مازالـت تقتلنـا .. مازلنـا نبكـي وكأننـا نبكـي لأول مـرة .. سـكب مشـاعرنا أمـام مـن لا يسـتحقون ..

هــذه الأشــياء ســلبت ارواحنــا .. ونحــن مازلنــا نقــف كالحمقــى نشــيع أنفســنا وهــي جثــث .. ونلعــن أنفســنا..

ســنموت كل يــوم عــلى يــد مــن لا يملــك رحمــة لقلوبنــا وســنكون ســبب في ذلــك..

ســقطت علاقتنــا كــما تســقط أوراق الشــجر في فصــل الخريـف .. لا أتذكـر يومـاً أني تعمـدت إيذائـك عـلى العكـس فقـد كنـت أخـاف عليـك مـن الحـزن والبـؤس ومـن نفـسي.. ولكنــي كنــت أهــون أحزانــك

فعلـت كل مـا بوسـعي لتبقـي علاقتنـا قويـة كـما كانـت .. تحملـت مـا لا يتحملـه أحـد وأنـت تعلـم هـذا جيـداً..

لقد تعاهدنا على البقاء معًا ولكن أنهيتنا..

أنهيت علاقتنا بلا سبب يُذكر..

أذهـبُ إلى تلـك الأماكـن التـي كانـت تجمعنـا. أرانـا في كل شيء ولكنـي لم أعـد أراك ..

من المؤسف حقاً إنك من رحلت ..

***

بعـد أخـذك للرقـم الـسري الخـاص بصفحتـي عـلى الفيـس بـوك.. والـذي أعـرف جيـدًا إنـك أخذتـه كـي تجـد شيء تدينني بـه فتتركنـي دون أن تشـعر بالذنـب .. أخبرتنـي أنـك سـتغلق الآن و سـنتحدث فيـما بعـد حينـما تهـدأ..

أرسلت لك حينها وبعد أن أغلقت..

أنـا أعـرف جيـداً أنـك تريـد أن تنهـي مـا بيننـا إلى الأبـد .. أعلـم أنـك لا تريـدني بقربـك..

لكـن صدقنـي فقـد كنـت أشـعر بـك.. تكلمـت معـك هـذه المـرة لأني كنـت اتـألم لألمـك.. شـعرت بضيقـك..

لم أكرهـك يومـاً رغـم قولـك أنـك عـلى معرفـة بفتـاة أخرى وختمـت جملتـك مـا الـذي يفـرق بـين مـا أفعلـه معهـا ومـا فعلتـه معـك.. وصادقتـك فتيـات عـدة..

من المحتمل أنك أحببت فتاة غيري ..

أعـرف جيـداً كـم مـن مـرة جعلتـك تخطـو عـلى كرامتـي.. وإن كنـت قلـت كلمـة غـير لائقـة بـك في تلـك المحادثـات التـي قرأتهـا وقـد كانـت مـع زميـلاتي ... فلـم تكـن سـوى إني لا أريـد أن يظـل مظهـري سـيئاً أمامهـم..

سأكون صريحة معك ومع نفسي.. أنت لا تحبني..

لا أريـدك أن تعجـب بي لاحقـاً كـما أخبرتنـي مسـبقاً.. لا أريـد أن اتحـدث

معك مرة أخرى..

وكان ردك ببرود شديد..

مع السلامة يا براءة..

وقمت بحظري للمرة الأخيرة ..

***

أعلـم جيـداً أنـك قـادر عـلى أن تمـضي قدمًـا مُخلفـاً ورائـك ذكرياتنـا وأحلامنـا ولحظاتنـا معـاً..

قادرًا على أن تنساني وكأني لم أكن يوماً في حياتك ..

لـن أدعـي نسـيانك فأنـا لا أذكـر غـيرك.. لـن أدعـي بـأني شُـفيت مـن كل الجـراح التـي تركتهـا بي ومضيـت قدمًـا بـدوني

.. لـن أنـسَ أنـك أوصلتنـي إلى منتصـف الطريـق وتركتنـي وحـدي...

لا أعرف ما هو الحب بنظرك..

ولكنـي أريـد أن أخـبر هـذا العـالم بـأن يتوقـف عـن الحـب مـادام لا يعـرف لـه نهايـة..

أن يتوقـف عـن إعـادة العلاقـات كـما كانـت واتركوهـا تمـوت فلـو كانـوا أحبوكـم مـا كانـوا أنهوهـا..

لا بـد أن تحفـظ قلبـك وكرامتـك لمـن يسـتحقها فعـلًا.. وسـيحدث هـذا عـن طريـق الحـب الحـلال..

أن لا تحـارب العـالم مـن أجـل إنسـان لا يسـتطيع محاربـة كبريائـه مـن أجلـك

«أن الأشـياء ترحـل إذا لم تجـد الاحتـواء.. وأن الصـبر وإن طـال ينفـذ.. والحيـاة لا تقـف عـلى أحـد»

***

التواصل مع داركتاب

Email : darkitabone@gmail.com

fasbook : darkitabone

البدج داركتاب

٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨